منهجُ البحثِ الصّوتيّ عند العربِ

إعداد

أ.د. عمر رشيد شاكر السامرائي

الأستاذ بقسم اللغة العربية ، كلية الآداب، جامعة سامراء، العراق

م.م. نوال صالح مهدي

مدرس مساعد بقسم سيطرة المنظمات النفطية

كلية هندسة العمليات النفطية ،

جامعة تكريت، العراق

منهجُ البحثِ الصّوتيّ عند العربِ

عمر رشيد شاكر السامرائي
قسم اللغة العربية،كلية الأداب،جامعة سامراء ،العراق.
البريد الإلكتروني: dr.omar1398@gmail.com
نوال صالح مهدي
قسم سيطرة المنظمات النفطية، كلية هندسة العمليات النفطية ،جامعة تكريت، العراق
البريد الإلكتروني:nawal.s.mahdi@tu.edu.iq

الملخّص:-

عنى هذا البحث بدراسة منهج البحث الصوتي عند العرب، وهو ينطلق من فرضية تقول إن لعلماء العربية منهجا واضحا في دراسة الصوت اللغوي، وهذا المنهج متوافق مع رؤى علماء العربية وطريقتهم في البحث اللغوي.

وقد وقف هذا البحث عند سلسلة من الإجراءات العلمية والعملية التي ظهرت في مؤلفات علماء العربية والتي اتخذها هؤلاء العلماء معالم رئيسة في البحث الصوتي .

وقد ناقش هذا البحث مقولة عدد من الدارسين المحدثين الذين ذهبوا إلى أن الدرس اللغوي العربي القديم لم يكن يملك منهجا واضحا في البحث الصوتي، وردّ هذه المقولة.

ثم وقف البحث عن معالم منهج البحث الصوتي عند العرب، ومن ذلك توظيف التجربة العضوية ، واكتشاف أن البحث الصوتي أسلوبا خاصا للبرهنة العلمية ، فضلا عن ظاهرة التمثيل بالمحسوسات التي كشفت عن وعي منهجي لعلماء العربية لما يتطلبه البحث الصوتي.

ووقف البحث عند نصوص عددناها نادرة لعلماء العربية كشفت معالم لمنهج البحث الصوتي عند علماء العربية ، من ذلك نص للسيرافي يتحدث فيه عن استناده في بحثه الصوتي إلى الرؤية وأن الرؤية تقوم مقام المشاهدة ، وفي هذا تصريح بما يتطلبه البحث الصوتي من أدوات علمية وعملية.

ومن ذلك أيضا استناد عدد من علماء العربية إلى ظاهرة التمثيل بالمحسوسات نحو التمثيل بالآلات الموسيقية ، التي وجد في هؤلاء العلماء الأداة الراجحة لتقريب الحقيقة الصوتية للمتلقي والدارس العربي.

الكلمات المفتاحية: منهج البحث الصوتي، علماء العربية، التجربة العضوية ، التمثيل بالمحسوسات، البرهنة الصوتية

The method of phonetic research among Arabs

Omar Rashid Shaker Al-Samarrai
Department of Arabic Language, College of Arts, Samarra University, Iraq.
Email: dr.omar1398@gmail.com
Nawal Saleh Mahdi
Department of Oil Organizations Control, College of Petroleum Operations Engineering, Tikrit University.
Email: nawal.s.mahdi@tu.edu.iq

Abstract:
This research examines the Arabic phonetic research methodology. It is based on the hypothesis that Arabic scholars have a clear methodology for studying linguistic sound. This methodology is consistent with the visions and methods of Arabic scholars in linguistic research.This research examines a series of scientific and practical procedures that appear in the writings of Arabic scholars, which these scholars have adopted as key features of phonetic research.This research discusses the argument of a number of modern scholars who have argued that ancient Arabic linguistics did not possess a clear methodology for phonetic research, and refute this argument.The research then delves into the features of the Arabic phonetic research methodology, including the use of organic experience and the discovery that phonetic research is a special method for scientific proof. Furthermore, it explores the phenomenon of representation by tangible objects, which reveals a systematic awareness among Arabic scholars of what phonetic research requires.

The research focused on rare texts by Arabic scholars that revealed the features of the phonetic research methodology used by Arabic scholars. This included a text by al-Sirafi in which he discusses his reliance on vision in his phonetic research, and that vision replaces observation. This clearly demonstrates the scientific and practical tools required for phonetic research. Also included is the reliance of a number of Arabic scholars on the phenomenon of representation by tangible objects, such as musical instruments. These scholars found the preeminent tool for bringing phonetic truth closer to the Arabic reader and student.

Keywords:Phonetic research method, Arabic scholars, Organic experience, Representation by sensory objects, Phonetic demonstration.

١. المقدمة

الحمد للهِ ربِّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدِنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ، وبعدُ:

فممّا لا شكَّ فيه أنَّ الدّراسةَ اللغويّةَ الحديثةَ قد صيّرتْ لبحثِ الأصواتِ وتحليلِها مستوىً محدّداً من مستوياتِ الدّرسِ اللغويّ، وهو المستوى الأولُ من مستوياتِ دراسةِ الظاهرة اللغويةِ، أعني: المستوى الصّوتيّ، وهذا المستوى له ما يُميّزُهُ، ولهُ انشعابُهُ إلى فروعٍ متعدّدةٍ تُعنى بتحليلِ الظاهرةِ الصّوتيَّةِ، وهي الظاهرةُ التي يُمكنُ عدُّها الجانبَ المحسوسَ من اللغةِ.

والقولُ بأنَّ الدّرسَ اللغويَّ الحديثَ قد أنشأ لدراسةِ الأصواتِ اللغويةِ مستوى مستقلاً لا يعني أنَّ الحضاراتِ المختلفةَ لم تقدّم شيئاً ذا بالٍ في باب البحثِ الصّوتيّ، فالحقيقةُ العلميّةُ تُثبِتُ أنَّ الحضاراتِ الهنديّة واليونانيّة والعربيَّة قد قدّمت في مجالِ الدّراساتِ الصّوتيَّةِ ما لا يُمكنُ إنكارهُ.

ويقفُ التّراثُ العربيُّ مثالاً على جُهدٍ علميٍّ واضحٍ في الدّرسِ الصّوتيّ لا يّصُحُّ تجاهلُهُ سواءً في أثناءِ عرضِ النّظريّاتِ والمسائل الصوتيّة التفصيليَّة أم في أثناءِ الحديثِ عن تأريخِ البحثِ الصّوتيّ في المدارسِ اللغويَّةِ المختلفةِ.

وأحسبُ أنَّ من أماراتِ نُضجِ الدرسِ الصّوتيّ في أيَّةِ مدرسةٍ لغويَّةٍ هو إثباتُ أنَّ هذا الدّرسَ أو ذاك لهُ منهجيَّةٌ واضحةٌ في البحثِ العلميّ تتناسبُ مع طبيعةِ المادّةِ المدروسةِ وهي – هنا – الأصواتُ عامّةً ومنها الأصواتُ اللغويَّةُ.

وهدفُ هذا البحث هو الكشفُ عن جوانبَ من الإطارِ المعرفيّ الذي أحاطَ بدراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ في التّراثِ العربيّ، ويُعنى هذا الإطارُ بالنّظرِ في محاولةِ الإجابةِ عن أسئلةٍ جوهريَّةٍ هنا وهي: هل امتلكَ التّراثُ

العربيُّ منهجَ بحثٍ علميّاً واضحاً خاصّاً بدراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ، يتناسبُ مع هذه الظّاهرةِ اللغويَّةِ ؟ وهل ترك اختلاطُ المباحثِ الصّوتيّةِ – في التُّراثِ العربـيّ– مـع مباحـثِ علـومٍ أخـرى كـالنّحوِ والصّـرفِ والبلاغـةِ والموسـيقى (وغيرها) أثرَهُ فـي البنـاءِ العلمـيّ للفكرةِ أو النّظريَّـةِ الصّـوتيَّةِ عنـد العربِ ؟ ولا سيّما بعدَ أنْ تبيَّنَ أنَّ الدّراسةَ الصّوتيَّةَ لم تتّخذ لها إطاراً علميَّاً مستقلاً في التّراثِ العربيّ شأنُهُ في ذلك شأنُ غيرِهِ من المدارسِ اللغويَّةِ التي تنتمي للحضاراتِ المختلفةِ[١] كما أسلفنا.

ويبدو أنَّ الدّواعيَ إلى الوقوفِ عند منهج العلماءِ العربِ في البحثِ الصّوتيِّ قد أمست متوافرةً ولا سيّما في هذا العصرِ الذي ظهرَ فيه من يرى أنْ ليس من اليسيرِ الوقوف عند منهجٍ لعلماءِ العربيَّةِ في هذا البابِ، يقول الدكتور علي خليف حسين: ((فليس من اليسيرِ الوقوفُ على منهجِ علماءِ العربيَّةِ في دراسةِ الأصواتِ لأنَّهم لم يكتبوا لنا أو يوضّحوا طريقتهم في دراسة الأصوات أو المنهج الذي سوف يسلكونه في هذه الدّراسة))[٢]، والذي أحسبُهُ أنَّ عدمَ حديثِ علماءِ العربيَّةِ (وغيرهم) عن منهجهم في دراسةِ الأصوات لا يمنع من محاولةِ اكتشافِ معالمِ هذا المنهجِ في النصوصِ الصّوتيَّةِ التي تملأ صفَحاتٍ كثيرةً من هذا التّراثِ.

وأرى أنَّ الوقوفَ عند منهجِ البحثِ الصّوتي في التراثِ العربيّ فرصةٌ متميّزةٌ لمحاولةِ تأصيلِ علمِ الأصواتِ عندَ العربِ، ومناقشةِ أكانَ هذا الدّرسُ وافداً على حضارتِنا من الأممِ الأخرى أم هو نِتاجٌ للعقليّةِ العربيَّةِ التي

(١) ينظر: أصالة علمِ الأصوات عند الخليل من خلال مقدّمة كتاب العين، للدكتور أحمد محمد قدّور ١٣.

(٢) منهج الدرس الصوتي عند العرب ١٣.

شَرعت في بنائِها العلميّ إبّانَ النّهضةِ العلميَّةِ العربيَّةِ في القرونِ الهجريَّةِ الأولى.

وسيرى القارئُ الكريمُ أنَّ الذي قصدناه من منهجِ البحثِ الصّوتيّ هو النظرُ في طبيعةِ الوسائلِ التي استندَ إليها اللغويون وغيرُهم في بناء الحقيقةِ العلميّةِ الصّوتيَّةِ، دون النظرِ في طريقةِ عرضِ المادّةِ المدروسة أو دون البحثِ في الغاياتِ التي من أجلِها سلكَ العلماءُ السابقون طريقَهم في دراسةِ الأصواتِ اللغويّة، فإنَّ جمهرةَ الدّارسينَ المحدثينَ قد تناولوا مثل هذه الموضوعات الأخيرةِ في أبحاثِهم ودراساتِهم المتنوّعة ممّا قد تراه في ثَبَتِ المصادر والمراجعِ في آخرِ الكتاب ، أمّا البحثُ في الوسائلِ وأدواتِ البناءِ العلميّ ممّا أسميتُهُ بـ (منهج البحثِ العلميّ) فإنّي أرى أنَّ القولَ فيه ما زالَ يحتملُ الكثيرَ، ممّا سأحاولُ بعضَه هنا – إنْ شاء الله – وأنا أحاولُ تأصيلَ علمِ الأصواتِ في الحضارةِ العربيَّةِ.

٢. مشكلةُ الدّراسةِ وفرضيّاتُها:

ولعلَّ القارئَ الكريمَ قد أدركَ أنَّ المشكلةَ العلميَّةَ التي تبغي هذه الدراسةُ معالجتَها هي الوقوفُ عند (منهجِ البحثِ الصّوتي عند العربِ) تنظرُ في تراثِنا العربيِّ الخالدِ وتبحثُ عن المعالمِ المنهجيّةِ التي رافت علماءَ العربيَّةِ وغيرَهم وهم يدرسونَ أصواتَ اللغةِ ويحللونَ كنهها، وطريقةَ انتظامِها في السلسلةِ الكلامية وما يرافقُ هذا الانتظامَ من ظواهرَ.

وهذه الدّراسةُ تفترضُ أنَّ ثمّةَ منهجاً بحثياً ظهرَ في تراثِنا العربيّ المعنيِّ بدراسةِ الأصواتِ وأصواتِ اللغةِ، وأنَّ هذا المنهجَ كانَ مبثوثاً في مؤلفاتِ العلماءِ المختلفة، وأنَّ هذا المنهجَ أيضاً كان علامةً على نضجٍ علميٍّ عربيٍّ بمعرفةِ ما يتطلّبُهُ البحثُ الصّوتيُّ من أدواتٍ وما يلزمُهُ من خطواتِ بحثٍ علميّةٍ، وإذا خلُصت نتيجةُ البحثِ إلى مثلِ هذا فإنَّ لذلك أثراً في إنزالِ البحثِ الصّوتيّ العربيّ منزلتَه التي يستحقُّها.

٣. الدّراسات السّابقة

تضمُّ المكتبةُ العربيَّةُ سلسلةً من الدّراساتِ العلميّةِ التي ظهرتْ في أزمنةٍ مختلفةٍ معنيَّةً بـ (البحث الصوتي عند العرب) ومنهجِهِ، نذكر منها:

- في البحثِ الصوتي عند العرب، للدكتور خليل إبراهيم العطية – بغداد ١٩٨٣.
- المدارس الصوتية عند العرب – النشأة والتطور، للدكتور علاء جبر محمد، بيروت٢٠٠٦.
- منهج الدرس الصوتي عند العرب، للدكتور علي خليف حسين، بيروت٢٠١١م.
- التفكير الصوتي عند علماء العربية في العراق، للدكتور صبيح التميمي، بغداد٢٠١٣.
- الاستدلال الصوتي في الدرس اللغوي العربي، رسالة ماجستير، للباحثة: ميسم سمير محمد، جامعة ديالى – العراق ٢٠٢٠ م.

وهذه الدّراسات – لا شكَّ – قد قدّمت محاولاتٍ جيدةً في معالجةِ البحثِ الصوتيّ عند العرب، وفي الوقوفِ على جملةٍ من الأفكارِ التي تعنى بها هذه الدراسةُ، ولكنْ بعد الاطّلاع عليها تبيّنَ أنَّ ثمّةَ مواضعَ في البحثِ الصّوتيّ عند العربِ ما زالتْ بها حاجةٌ إلى شيءٍ غيرِ قليلٍ من الكشفِ وجِدَّةِ العرضِ والدراسةِ والتّحليلِ، وأنَّ نصوصاً جديدةً وأفكاراً متميزةً مدوّنةً في تراثِ علماءِ العربيَّةِ وغيرِهم ممن عنوا بالظاهرةِ الصوتيّةِ تكشفُ عن معالمَ رئيسةٍ في منهجِ البحثِ الصّوتيّ في التّراثِ العربيّ ما زالتِ الحاجةُ قائمةً لكشفِهِ وتقديمِهِ للدارسينَ من جديدٍ، فكان لا بدَّ من هذه الدّارسةِ.

وقد اقتضت طبيعةُ البحثِ أن أتناولَ مسائله – بعد هذه المقدّمة – في المباحثِ الآتية:

- **المبحثُ الأوّلُ:** موقفُ المحدثينَ من منهجِ البحثِ الصوتيّ عند العربِ.
- **المبحث الثّاني:** إدراكُ العلماءِ العربِ لطبيعةِ البرهنة الخاصّةِ بالبحثِ الصّوتيّ.
- **المبحث الثّالث:** توظيف التّجربة العضويّةِ في البحثِ الصّوتيّ عند العربِ.
- **المبحث الرّابع:** التّمثيلُ بالمحسوساتِ في البحثِ الصّوتيّ عند العربِ.

المبحثُ الأوّلُ

موقفُ المحدثينَ من منهجِ البحثِ الصوتيّ عند العربِ

شُغِلَ كثيرٌ من الدّارسينَ المحدثينَ بالنّظرِ في (منهج البحثِ الصّوتيّ) عند العربِ، وكانت نتائجُ أبحاثِهم تدورُ حولَ أنَّ للدّرسِ الصّوتيّ في التّراثِ العربيّ ما يُميّزُهُ، فهو درسٌ عُرِفَ عند العربِ بخصائصَ وسِماتٍ تكشفُ أنَّ العلماءَ الذينَ باشروه قد بذلوا غايةَ جهدهم في تحليل الظاهرةِ الصّوتيَّةِ عموماً والصّوتِ اللغويّ خصوصاً على رغم وسائلِهم المحدودة التي تبدوا محدودةً ساذَجةً إذا قُورِنت بما هو عليه الدّرسُ الصّوتيُّ الحديثُ.

وقد استقريتُ نصوصَ هؤلاءِ الباحثينَ المحدثينَ وتتبّعتُ مواقفَهم من منهجِ البحثِ الصّوتيّ عند العربِ، ورأيتُ أنَّ أبرزَ الخصائصِ المنهجيَّةِ التي أشاروا إليها وذهبوا إلى أنَّ البحثَ الصّوتيَّ عندَ العربِ قد امتلكَها وصارتْ من سماتِهِ في بناءِ مادّتِهِ العلميَّةِ، هي:

أولاً – المنهجُ الوصفيّ

تتابعَ الدّارسون المحدثون في إثباتِ فكرةِ أنَّ البحثَ الصّوتيَّ عند العربِ كانَ بحثاً قد تمثّلَ فيه المنهجُ الوصفيُّ تمثُّلاً واضحاً، إذ كان البحثُ في أصواتِ اللغةِ يقوم – عند العرب – على أساسِ ملاحظةِ ما في هذه الأصواتِ من صفاتٍ وما يجري فيها من أحكامٍ، فضلاً عمّا لها من مخارجَ، يقول جون كانتينو: ((وقد كانت هذه الدّراساتُ الصّوتيَّةُ عند النّحاةِ العربِ دراساتٍ وصفيَّةً صرفاً مثلُها في ذلك مثلُ الدراساتِ الصّوتيَّةِ التي قامَ بها نحاتُنا في القرنِ السّابعِ عشرَ))[(١)].

وحين شرع الدكتور خليل إبراهيم العطيّة في بيان ملامح المنهج الصوتيّ عند العرب كان منها ((الاعتماد على المنهج الوصفيّ، وهو منهج

(١) دروسٌ في علمِ أصواتِ العربيَّةِ ١١.

تعتمدُهُ الدّراسات اللغويَّة الحديثة، وقد أفضى إلى وصفِ العربيَّةِ، وجهازِها المصوّت، وظواهر التأثر والتّأثير وسواها وقادهم إلى كثيرٍ من النتائج النّافعة))[١].

وقد أكّد هذهِ السّمةَ الدّارسون الذين جاؤوا بعدُ[٢]، وما زال المعاصرون يردّدون هذه المقولةَ، ويرونَ أنَّ تناولَ النحويينَ للأصواتِ اللغويَّةِ كان قد عُرِفَ بهذه السّمةِ، يقول الدكتور علاء جبر محمد –متحدّثاً عن محاسنِ مدرسةِ النّحاةِ الصّوتيَّةِ–: ((اعتمدَ علماءُ هذه المدرسةِ على الجانبِ الوصفيِّ مدعوماً بالأدلَّةِ المنطقيَّةِ التي حاولوا من خلالِها البّرهنةِ على صِحَّةِ ما توصَّلوا إليه من نتائجَ صوتيَّةٍ، ونحن نرى ذلك واضحاً في دراستِهم للظواهرِ الصّوتيَّةِ كالإدغامِ والإعلالِ والإبدالِ والوقفِ وغيرِها))[٣].

ثانياً – الملاحظةُ الذّاتيّةُ والنّطقُ الذّاتيّ أو التّذوّقُ الفعليّ

يبد أنَّ من أماراتِ المنهجِ الوصفيّ الذي سلكه العلماءُ العربُ في دراستِهمُ الصّوتيَّةِ هو الاستنادُ إلى الملاحظةِ الذّاتيّةِ أو النّطقِ الذّاتيّ الذي كانَ يُجريه العالِمُ في نُطقِهِ التّجريبيّ لأصواتِ اللغةِ، وهذه سِمةٌ في البحثِ العلميّ تدخلُ عنصراً مُهمّاً في البحثِ في العلومِ التي تتطلّبُها، وقد بيّنَ الباحثونَ المحدثون أنَّ ذلك كان من سماتِ البحثِ الصّوتيّ عند العلماءِ العربِ، يقولُ الدكتور كمال بشر: ((وللعلماءِ العربِ في القديمِ – لغويين وغير لغويين – إشاراتٌ وأفكارٌ تنبئُ بوضوحٍ عن إدراكِهم لجوانبِ الأصواتِ النّطقيّةِ والأكوستيكية والسّمعيّة جميعاً، وإنْ كانت جلُّ أعمالِهم جاءت بالتّركيزِ على الجانب النّطقيّ الفسيولوجي، ذلك أنَّ هذا الجانبَ هو أقربُ

(١) في البحث الصّوتي عند العرب ١٠٩.

(٢) ينظر: التفكير الصّوتيّ عند علماءِ العربيَّةِ في العراقِ، للدكتور صبيح التميمي ٥٣.

(٣) المدارسُ الصوتيَّة عند العرب ٨٩.

منالاً والأيسر في التّعامل معه بالملاحظةِ الذاتية introspection والتّذوّق الفعليّ للأصواتِ، وهما من أهمِّ الوسائل لتعرفِ الخواصِّ النّطقيّة للأصوات، وخاصّة عند قومٍ عُرِفوا بحسّهم اللغوي المرهف واهتمامِهم الشديد بالكلامِ المنطوقِ وصِحَّةِ أدائِهِ))[١].

ويبيّن الدكتور خليل العطيّة أنَّ الاعتمادَ على هذه الوسيلةِ في دراسةِ الأصواتِ لم يكنْ منهجَ اللغويّين العرب وحدهم، يقول: ((ولم يكنْ العربُ وحدَهم المعتمدين على (النّطقِ الذّاتي) فذلك ديدنُ الدّرسِ الصّوتيّ عند الهنودِ أيضاً، وهم والعربُ أقدمُ الأممِ في سبقِ الغربيينَ في علم الصّوتِ))[٢].

ويؤكّدُ الدكتور عبده الراجحيّ أنَّ قراءة القرآنِ الكريمِ هي التي دفعت علماءَ العربيَّةِ إلى تبنّي هذا الأسلوبِ في البحثِ الصّوتيّ، يقول: ((وإذا كان " الفيدا " هو الذي دفعَ الهنود إلى دراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ بتلك الدّرجةِ من الإتقانِ التي يذكُرُها مؤرّخو اللغةِ، فإنَّ قراءةَ القرآنِ هي التي جعلت علماءَ العربيَّةِ القدماءَ يتأملون أصوات اللغةِ ويلاحظونها هذه الملاحظة " الذّاتية " التي أنتجت – في وقتٍ مبكّرٍ جداً – دراسةً طيبةً للأصواتِ العربيَّةِ لا تبتعد كثيراً عمّا قرّره المحدثون))[٣].

ويرى الأستاذ عبدالحميد الهادي قدّوع أنَّ هذه الوسائلَ قد تحقّقت لعلماءِ العربيّةِ بواسطةِ الأذن، يقول – متحدّثاً عن علماءِ العربيَّةِ ومنهجِهم

(١) علم الأصوات ١٢٢ ، وينظر: التفكير الصوتي عند علماء العربية في العراق ٥٣، والدراسات الصوتية عند علماء التّجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد ١٠٦، ومدخل إلى فقه اللغة العربية، للدكتور أحمد محمد قدور ١٨١.

(٢) في البحثِ الصّوتيّ عند العربِ ١١٠.

(٣) فقه اللغة في الكتب العربية ١٢٩ – ١٣٠.

في دراسةِ الأصواتِ –: ((فقد وُفّقوا توفيقاً كبيراً في كثيرٍ من النّتائجِ التي توصّلوا إليها، على الرّغم من وسائلِهم الأوليّة التي كان قوامُها التّذوّقَ الشخصيَّ والملاحظة الذاتيّة بواسطةِ الأذن، وكانت تلك الوسائلُ هي الوحيدةَ التي يُمكنُ أنْ تنهضَ بهذه الدّراساتِ قبل تقدّمِ العلومِ))[1]، وبيّنَ أنَّ التقدّمَ العلميَّ الذي عُرِفَ به علمُ الأصوات الحديث المتمثّل بالاستنادِ إلى التّجارِب المعمليّة والأجهزة الدّقيقة لم يُلغِ نتائج الدّراسةِ القديمة التي كانت قائمة على الملاحظةِ والتذوّقِ الشّخصيّ، ذلك بأنَّ هاتينِ الوسيلتين (القديمتينِ) تُعدّانِ خطوةً أولى وأساسيّة في البحثِ الصّوتي[2] قديماً وحديثاً.

وكرّر المحدثون الإشارةَ إلى الأذنِ وهم يقصدون السّماع، ولا شكَّ في أنَّ الدّقةَ في السّماعِ صورةٌ واضحةٌ للملاحظةِ الدّقيقةِ، فضلاً عمّا يحيطُ بهذه الدّقّةِ والملاحظةِ من حسٍّ مرهفٍ، وذكاءٍ وفطنةٍ كبيرين، يقولُ الدكتور أحمد محمد قدّور – متحدّثاً عن عالمٍ بارزٍ من علماءِ الصّوتِ العربيّ وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي –: ((ويبدو أنَّ امتلاك الخليل لأذنٍ موسيقيّة وحِسٍّ مرهفٍ ومعرفةٍ بقواعد الأنغامِ واللحون أدّى بعد الملاحظة الدّقيقةِ إلى وصفِ مخارجِ الحروفِ من جهازِ النّطقِ مبتدئاً بأقصاها من جهةِ الجوفِ، ثمَّ منهياً إلى أدناها عند الشّفتينِ))[3].

وأقامَ الباحثونَ فكرةَ (الذّوق المرهف) – التي هي وسيلةٌ رئيسة لتحقيق الملاحظة الدّقيقةِ – عند العلماء العرب مُقامَ الوسائل المعمليّة في الدّرسِ اللغويّ الحديثِ، على نحو ما رأى الدّكتور عبدالغفّار حامد هلال الذي يقول: ((وقد استفادَ الغربيّون من دراساتِ العربِ الصّوتيّة، وأصّلوا عليها

(١) الدراسات الصوتية عند علماء العربية ٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) مدخل إلى فقه اللغة العربية ١٨١.

علوماً كثيرةً وفروعاً للدراساتِ الصّوتيّة، مكّنهم منها تطوّر العصر وظهور الآلات الدّقيقة، والدّرس المعمليّ الصّوتيّ الذي أمكنَ عن طريقِهِ تحديد الأصوات وطرق استخدامها بدقّةٍ على حين كان العالِمُ العربيُّ يعتمدُ على ذوقِهِ المرهفِ))[١].

ولكي تتحقّقَ هذه الملاحظةُ لا بدَّ أنْ تقومَ على أساسِ المشافهةِ، وهذه حقيقةٌ ظهر التّصريحُ بها – على نحوِ ما قال القدماءُ، وسنرى ذلك بعدُ إنْ شاء الله – وظهرتْ آثارُها في البحثِ الصّوتيّ عند العرب، ويرى الدّارسون المحدثون أنَّ اعتمادَ المشافهة في سماعِ اللغة المنطوقة – مع التّذوق الشخصيّ والملاحظة الذّاتيّة هو الأسلوب الصّحيح الذي يناسبُ الدّراسة العلميّةَ للأصواتِ اللغويّةِ بعيداً عن التّأويلاتِ والافتراضات التي توجدُ في غيرِ علم الأصواتِ من العلومِ للغويَّةِ[٢].

وفي تقديري أنْ ليس أدلَّ على توظيف الملاحظةِ والمشافهةِ، فضلاً عن السّمع والحِسِّ المرهفِ فيما له صِلةٌ بالبحثِ الصّوتيّ من قِصَّةِ نقطِ المصاحف التي يرويها العلماءُ عن أبي الأسودِ الدّؤليّ (ت ٦٩)، وهذه القِصَّةُ تُعدُّ – فيما أرى – من النّصوصِ الصّوتيّةِ الأولى في تراثِنا العربيّ، فقد روى محمد بن إسحاق النّديم (ت ٣٨٠ هـ) عن أبي الأسود الدؤليّ أنَّ قال للكاتب اللَّقِنِ الذي اختاره: ((إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرفِ فانقط نقطةً فوقه على أعلاه، وإنْ ضممتُ فمي فانقط النقطة بين يدي الحرفِ، وإنْ كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرفِ))[٣]، ولا شكَّ في أنَّ قوله ((إذا

(١) الصوتيات اللغويّة – دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية ٢٢.

(٢) ينظر: التفكير الصوتي عند علماءِ العربيةِ في العراق ٥٣.

(٣) الفهرست

رأيتني) مثالٌ واضحٌ على سِمةِ الملاحظةِ والمشافهة في هذا الجانب الذي نَعُدُّه ضرباً في البحثِ الصّوتيّ المتقدّم في تراثِنا العربيّ.

ثالثاً – نظامُ العيّناتِ في البحثِ

وهذه سِمةٌ في البحثِ الصّوتيّ عُرِفَ بها علماءُ العربيّةِ، وقد أشار إليها على نحوٍ خاصٍّ من المحدثينَ الدكتور خليل إبراهيم العطيّة، الذي رأى أنَّ ((الاعتمادَ على نظامِ (العيّناتِ) وهو شكلٌ من أشكالِ المنهج الاستقرائي في البحثِ، ولا شكَّ أنَّ الخليلَ بن أحمدَ الفراهيدي أرسى نظريّته في ذلاقةِ بعض الأصوات التي عضدت نتائجها الحاسباتُ الإلكترونية (الكمبيوتر) بشكلٍ عامٍّ على وفق هذا المنهج))[1].

وذهب بعضُ الباحثين المعاصرينَ إلى القولِ إنَّ الجانبَ الصوتيّ الذي سادَ في تراثِنا العربيّ هو ما صار يُعرفُ في الدّرسِ الحديث بعلمِ الأصواتِ النّطقيّ، وقد مرَّ بنا قول الدكتور كمال بِشر: ((وللعلماءِ العربِ في القديم – لغويينَ وغيرَ لغويين – إشاراتٌ وأفكارٌ تُنبئُ بوضوحٍ عن إدراكِهم لجوانب الأصوات النّطقيّةِ والأكوستيكية والسّمعيّة جميعاً، وإنْ كانت جُلُّ أعمالِهم جاءت بالتّركيز على الجانبِ النّطقيّ الفسيولوجي))[2].

وهذا التّفكيرُ الذي ذهبَ إليه الدكتور بِشر صحيحٌ، ذلك بأنَّ الغالب على المنشغلين بالدّراساتِ الصّوتيّةِ هم علماءُ اللغةِ، فليس غريباً أنْ تكون العِنايةُ واضحةً بما له صِلة بنُطقِ الأصوات اللغويّةِ، ولكنّي أحسبُ أنَّ مخرجاتِ التّراث العربي في السنوات الأخيرةِ صارت تشهدُ بمساهمةٍ عربيَّةٍ في مجالِ فروعِ علمِ الأصواتِ الأخرى، يدلُّ على ذلك سلسلةُ الدّراسات التي ظهرت آخِراً وعرضت لمثلِ هذا البحثِ الصّوتيّ العربيّ، من ذلك دراسة

(١) في البحث الصوتي عند العرب ١١٠.

(٢) علم الأصوات ١٢٢، وينظر: التفكير الصّوتي عند علماءِ العربيَّةِ في العراق ٥٤.

الدكتور عبدالحميد زاهيد: علم الأصوات وعلم الموسيقى – دراسة صوتيّة مقارنة[١]، فضلاً عن دراسة الدكتور علاء جبر محمد: المدارس الصوتية عند العرب[٢]، التي أثبتت تنوّع فروع علم الأصوات التي عرفها التّراثُ العربيّ.

وحاولتْ باحثةٌ معاصرةٌ أن تُحصي ما نسمّيه نحن بمناهجِ البحثِ الصّوتي عند العرب وما أسمته هي بـ: الاستدلال الصّوتي في الدّرس اللغوي العربي[٣]، وبيّنت الباحثة ميسم سمير محمد أنواع الاستدلال الصّوتي، وهي – عندها –[٤]:

١–الاستدلال بالملاحظةِ والتّجربة الذّاتية.

٢–الاستدلال الصّوتيّ بالنّظيرِ.

٣–الاستدلال الصّوتي بالقياسِ.

٤–الاستدلال الصوتي بالضّدِّ.

٥–الاستدلال الصّوتيّ بالنقيض.

٦–الاستدلال الصّوتيّ بالسبرِ والتّقسيم.

٧–الاستدلال الصّوتيّ بالسؤال والجوابِ.

٨–الاستدلال الصّوتيّ بالأصلِ المفترضِ.

٩–الاستدلال الصوتيّ بالبعيد والقريب.

---

(١) صدرت الطبعة الأولى عام ٢٠١٠، عن: دار يافا – عمان – الأردن

(٢) صدرت هذه الدراسة كتابا مطبوعاً في عام ٢٠٠٦.

(٣) وهي رسالة جامعية أُعدّت لنيل درجة الماجستير في: كلية التربية – جامعة ديالى في العراق سنة ١٤٤١ هـ – ٢٠٢٠م، بإشراف أ.م.د. محمد بشير حسن.

(٤) ينظر الرسالة المذكورة أعلاه، وهي متوفرة في الشبكة الدّوليّة.

وهي محاولةٌ جيّدةٌ أحصتْ فيها الباحثةُ هذه الذي أسمته بالاستدلال الصّوتيّ، سدّتْ فراغاً في المكتبةِ العربيَّةِ، وقدّمت ما يُمكنُ عدُّهُ تأصيلاً للبحثِ الصّوتي يقومُ في مقابلِ ما نراه من أصولِ الاستدلالِ في الدّرسِ النّحوي، أو اللغويّ عامّةً، وإنْ لمْ نخلُ محاولتُها ممّا بِهِ حاجةٌ إلى مراجعةٍ علميّةٍ، إذ بعضُ هذا الذي جعلته من أنواعِ الاستدلالِ لا يكونُ أكثرَ من أسلوبٍ في عرضِ المادّةِ الصّوتيّة على نحو ما نجدُ في الاستدلال بالسؤال والجوابِ، وقد تحتملُ غيرُ هذه المسألةِ إلى مراجعةٍ أيضاً.

كانتْ نصوصُ المحدثينَ السّابقةُ فرصةً لعرضِ منهجِ البحثِ الصّوتيّ عند العربِ بحسبِ استقراء هؤلاءِ الباحثينَ، ولتبيّنِ موقفِهِم وتقويمِهم للدّرسِ الصّوتيّ في التّراثِ العربيّ عامّةً، وعندَ علماءِ العربيَّةِ على نحوٍ خاصٍّ، ولكنّي أحسبُ أنْ ليس في هذه الجهودِ – مجتمعةً – ما يمنعُ من تقويمِها ونقدِها إنْ كان فيها ما يدعو للنقدِ والتّقويمِ، وأرى أنَّ مثلَ ذلك يُمكنُ أن يُحصَرَ في المسائلِ الآتيةِ: "

١- يُمكنُ القولُ إنَّ سِماتِ منهجِ البحثِ الصّوتيّ عند العرب ممّا نصّ عليه هؤلاءِ الباحثونَ المحدثون كانت مستنبَطةً من نصوصِ علمائِنا المتقدّمين، واعني بذلك أنَّ عدداً غيرَ قليلٍ من هذه النّصوص لم تنقلْ لنا رأياً لعالمٍ من العلماءِ العربِ يُصرِّحُ بشيءٍ من أصولِ منهجِ التّفكيرِ أو البحثِ الصّوتيّ، على نحوِ ما نجدُ في الدّرسِ النّحويّ فنجدُ مؤلّفاتٍ في أصولِ النّحوِ مثلاً، والذي أحسبُهُ أنَّ محاولةَ تأصيلِ البحثِ الصّوتيّ عند العلماءِ العربِ لا بدَّ أنْ تُعنى – فيما تُعنى بِهِ – باستقراءِ آراءِ علمائِنا المتقدّمينَ بأصولِ البحثِ الصّوتيّ، كي يتبيَّنَ لنا إدراكُ أولئك العلماء ما يُميّزُ البحثَ الصّوتيَّ من غيرِهِ، وهذا ما سنحاول استدراكَه في هذه الدّراسةِ إنْ شاء الله.

٢- لم يمنعْ ذكرُ هذه السّماتِ الخاصّةِ بالبحثِ الصّوتيّ عند العربِ بعضَ الدّارسينَ المحدثينَ من توجيه النّقدِ لبعضِ مباحثِ الأصواتِ في تراثِنا، من ذلك – مثلاً – ما ذهب إليه الدكتور فوزي الشايب قائلاً: ((وأمّا العربُ فعلى الرّغم من أهميّةِ تمييزِهم بين المجهورِ والمهموسِ، الذي توصّلوا إليه بذكائِهم وفطنتهم وحِسِّهم الطّبيعيّ،فإنَّهم لم يوفّقوا هم الآخرون إلى معرفةِ السّببِ الحقيقيّ للجهر والهَمْسِ))[١].

٣- يكادُ القارئُ يُحسُّ أنَّ بعضَ الباحثينَ قد ساقَ ذكرَ وسائلَ للبحثِ الصّوتيّ عند العربِ في سياقِ النّقدِ، على نحو ما نجدُ في قولِ الدكتور علاء جبر محمد – متحدثاً عن محاسن مدرسة النحاة الصّوتيّة –: ((لم يكنْ اعتمادُ علماءِ هذه المدرسة على الملاحظة الذّاتيَّة لأعضاءِ النّطقِ في تحديد مخارجِ الأصواتِ سبباً ببعدهم عن الوصفِ الدَّقيق لمخارجِ الأصوات وتحديد كيفيّة النّطقِ))[٢]، وكأنَّ الملاحظةَ الذّاتيّةَ ليستْ هي الخُطْوة الأولى والأساسيّة في البحثِ الصّوتيّ عامّةً قديمِهِ وحديثِهِ[٣].

(١) محاضرات في اللسانيات ٦٩.

(٢) المدارس الصّوتيّة عند العرب ٩٠

(٣) ينظر: الدّراسات الصّوتيَّة عند علماء العربية ٩.

المبحث الثّاني
إدراكُ العلماءِ العربِ لطبيعةِ
البرهنة الخاصّةِ بالبحثِ الصّوتيّ

اتّضحَ لنا في مبحثِنا السّابقِ أنَّ تدوينَ المحدثينَ لخصائص البحثِ الصّوتيّ في التّراثِ العربيّ جاءَ استخلاصاً واستنتاجاً لهذه الخصائص أو السّماتِ، بعد استقرائِهم تتبّعِهم لمظانِّ البحثِ الصّوتيّ في تراثِنا العربيّ، ولا شكَّ في أنَّ مثلَ هذه الدّراساتِ المبنيّةِ على مثلِ ذلك الاستقراء خُطْوةٌ رئيسةٌ في تكوينِ الموقفِ العلميّ من البحثِ الصّوتيّ عند العلماءِ العرب.

ولكنّي أحسبُ أنَّ التّأسيسَ العلميّ للفكرةِ لابدَّ أنْ ينطلق – في مثلِ هذه الأبحاثِ التي تبغي الكشفَ عن معالم منهجِ البحثِ الصّوتيّ عند العرب – من تتبّعِهِ لقضيَّةٍ أراها رئيسةً، وهي البحثُ في نصوصِ العلماءِ أكانوا مدركينَ أنَّ للبحثِ الصّوتيّ ما يميّزُهُ من غيرِهِ في طريقةِ البَرهنةِ على مسائلِهِ وموضوعاتِهِ وقضاياهُ؟ و أيمتلكُ طريقةً في الاستدلال على أفكارِهِ ونظريّاتِهِ تخالفُ غيرَهَ من العلومِ والأبحاثِ ؟

وأحسبُ أنَّ الإجابةَ على مثلِ هذا التّساؤلِ ذاتُ أثرٍ كبيرٍ في إثباتِ سِماتِ البحثِ الصّوتيّ أو خصائصِهِ في تراثِنا العربيّ، وإثباتِ أنَّ علماءَنا قد أدركوا أنَّ لمثلِ هذا البحثِ ما يَخُصُّهُ من طرائقِ الاستدلالِ والبرهنةِ، ومن ثَمَّ فإنَّ لبحثِ مثلِ هذا الموضوعِ كلّهِ أثراً بارزاً في خطابِ تأصيلِ العلومِ والمعارِفِ في حضارةٍ من الحضاراتِ، إذ إثباتُ أنَّ علماءَ العربِ قد أدركوا أنَّ للبحثِ الصّوتيّ ما يَخُصُّهُ من وسائلِ الاستدلالِ دليلٌ على أنّهم قد عاينوا مسائلَ البحثِ الصّوتيّ معاينةً، وعالجوها بأنفسِهم معالجةً، ولم تكنْ وافدةً عليهم من حضاراتٍ أخرى ومن مصادرٍ مختلفةٍ.

وإذا كانت النّظريّةُ العلميّةُ العربيَّةُ قد قضتْ بتصنيفِ العلومِ صِنفينِ: عقليّةً كالعلومِ الطّبيعيَّةِ والرّياضيَّةِ والإلهيّةِ، وهذه براهينُها من جِهةِ العقلِ،

ونقليَّةِ كالعلومِ اللغويّةِ، وهذهِ براهينُها من جِهةِ النّقْلِ[١]، فإنَّ مناقشةَ إدراكِ علماءِ العربِ لطريقةِ البرهنةِ الخاصَّةِ بالبحثِ الصّوتيّ لا بدَّ أنْ تكون خارجَ هذا التّصنيفِ، لسببٍ وجيزٍ وهو أنَّ منظومةَ العلومِ العربيَّةِ لم تكنْ تتعاملُ مع دراسةِ الأصواتِ على أنَّه علمٌ مستقلٌّ من علومِ العربيَّةِ.

ولكنَّ ذلك لا يمنعني من القولِ إنَّ تتبّعَ النصوصِ الصّوتيَّةِ التي دوّنها علماءُ العربيَّةِ تسوّغُ للباحثِ القولَ إنَّ هؤلاءِ العلماءِ قد أدركوا البّرهنةَ التي تناسبُ الدّراسةَ الصّوتيَّةَ سواءٌ أكانت هذه الدّراسةُ الصّوتيَّةُ نطقيَّةً أم غيرَ نُطقيَّةٍ، وأنَّ معالجاتِهم الصّوتيَّةَ قد بُنيتْ على أساسِ هذا الإدراكِ، ولم تكنْ أبحاثُهم الصّوتيَّةُ تستقي من الافتراضِ والتّأويلَ مادّتَها العلميَّةَ.

وقد وردَ في البحثِ الصّوتيّ العربيّ مصطلحاتٌ تعبّرُ عن حقيقةِ هذا الفهم لأسلوبِ البرَهنةِ المناسبةِ للدراسةِ الصّوتيَّةِ، وأحسبُ أنَّ الوقوفَ عندها ممّا يكشفُ عن معالمِ هذا الفهمِ، ويُسهمُ في تأصيلِ البحثِ الصّوتيّ عند العرب.

أولاً – الاعتبار

يُمكنُ القولُ من أساليبِ البَرهنةِ التي نصَّ عليها العلماءُ العربُ ورأوا أنّها خاصّةٌ بالبحثِ الصّوتيّ هو(الاعتبارُ)، وقد جاءَ تعبيرُهم عنه بصيغٍ فعليَّةٍ مختلفةٍ، من ذلك ما جاءَ في قولِ سيبويه: ((وأمّا المهموسُ فحرفٌ أُضعِفَ الاعتمادُ في موضعِهِ حتّى جرى النّفسُ معه، وأنتَ تعرفُ ذلك إذا اعتبرتَ فردّدتَ الحرفَ مع جريِ النّفَسِ، ولو أردتَ ذلك في المجهورةِ لم

(١) ينظر: الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربيّة، للعلامة حسين بن أحمد المرصفي (ت ١٣٠٧ هـ) ١/٥٥.

تقدرْ عليه، فإذا أردتَ إجراءَ الحروفِ فأنتَ ترفع صوتَك إن شِئتَ بحروفِ اللينِ والمدِّ، أو بما فيها منها، وإنْ شئتَ أخفيتَ))[١].

والذي يشهد – عندي – أنَّ الاستنادَ إلى (الاعتبارِ) في البحثِ الصّوتيّ هو أسلوبٌ عربيٌّ خالصٌ غيرُ وافدٍ، هو أنَّ هذا (الاعتبارُ) هو لفظٌ قرآنيٌّ، يَرِدُ من أجلِ دلالةٍ محدّدةٍ لها صِلةٌ بطريقةِ التّفكيرِ وأسلوبِ البحثِ العلميّ، يحسنُ الوقوفُ عندها هنا، وبيانُ معناها لغةً ودلالةً قرآنيّةً.

أمّا في اللغةِ فقد يردُ (الاعتبار) بمعنى التدبّر، جاء في متون اللغة: ((عَبَرْتُ الكتابَ أعْبُرُهُ عَبْراً: إذا تَدَبَّرْتَهُ في نفسِكَ ولم تَرفَعْ بِهِ))[٢]، وقد تدلُّ – لغةً أيضًا – على معنى الاختبارِ والامتحانِ، جاء في (المعجم الوسيط): ((اعْتَبَرَ الشيءَ: اختبَرَه وامتحنَهُ، و– منه: تعجّبَ، وبه: اتّعظَ...))[٣].

وأمّا من حيثُ الدّلالةُ القرآنيَّةُ، فمثلُ هذه المعاني (اللغويّة) لم تكنْ بعيدةً عن مرادِ القرآنِ من استعمال ما تصَرَّفَ من (الاعتبار) [٤]، ولكن جاءَ في بعضِ المعجماتِ القرآنيّة ما له صِلةٌ بمقالِنا هنا، فقد وقفَ الرّاغبُ الأصفهانيُّ عند قولِهِ تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبرَة لِّأُوْلِي ٱلأَبصَٰرِ﴾ [٥] ، وعند

(١) الكتاب ٤٣٤/٤، وينظر: الأصول في النحو ، لابن السّرّاج ٤٠٢/٣ ، والجامع المفيد للسنهوري ٣٧٤.

(٢) المخصص، لابن سِيده البطليوسي (ت ٤٥٨ هـ) ٨/٦.

(٣) المعجم الوسيط ٦٠١/٢.

(٤) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) ١٦٤٧/٣، ومعجم ألفاظِ القرآنِ الكريم، الصادر عن مجمع اللغة العربيَّة في القاهرة ١٨٤/٢.

(٥) سورة آل عمران:آية، ١٣.

قولِهِ تعالى: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [١] ، فقال: ((والاعتبارُ والعِبرةُ: بالحالةِ التي يُتوصّلُ بها من معرفةِ المشاهَدِ إلى ما ليسَ بمشاهَدٍ))[٢].

والذي أحسبُهُ أنَّ قولَ الأصفهانيِّ هذا قد شَرحَ ما في كتبِ اللغةِ كيف يكونُ الاعتبارُ بمعنى الاتّعاظِ والتّدبُّرِ والاختبار والامتحانُ، فتبيّنَ أنَّ استعمال (الاعتبارِ) فيما له صِلةٌ بالبحثِ والتّفكير وحمل غيرِ المشاهَدِ على المشاهَدِ هو استعمالٌ عربيٌّ قرآنيٌّ واضحٌ، وأنَّ الذي حدثَ هو توظيفُ هذا الأسلوبِ (في التفكيرِ) في البحثِ الصّوتيّ عندَ العربِ، بعد أن وجد العلماءُ العرب أنَّ مثلَ هذا الأسلوبِ مناسبُ لدراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ، إذ طبيعةُ البحثِ فيها تتطلّبُ (الاعتبار) اي: الاختبار والتدبّرَ وكلَّ ما له صِلةٌ بمشاهدةِ المحسوسِ وتأمُّلِهِ.

وقد ظهرَ هذا المصطلحُ (الاعتبارُ) في البحثِ الصّوتيّ العربيّ منذ عهدٍ مبكّرٍ على نحوِ ما رأينا في نصِّ سيبويهِ المذكورِ آنفاً، وممّا قاله سيبويهِ أيضاً: ((وأمّا الصّاد والسّين والزّايُ فلا تدغمُهنَّ في هذه الحروفِ التي أدغمت فيهِنَّ، لأنَّهنَّ حروفُ الصّفيرِ، وهنَّ أندى في السّمعِ، وهؤلاءِ الحروفُ إنّما هي شديدٌ ورِخوٌ، لسنَ في السّمعِ كهذه الحروفِ لخفائِها، ولو اعتبرتَ ذلك وجدتَه كذا، فامتنعتْ كما امتنعَ الرّاءُ أنْ تدغمَ في اللامِ والنّونِ للتكريرِ))[٣].

ويقول رضي الدّين الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ): ((وإنّما اعتُبِرَ في امتحانِ الشّديدةِ والرِّخْوةِ إسكانُ الحروفِ لأنّكَ لو حرّكْتَها والحركاتُ أبعاضُ

(١) سورة الحشر: آية، ٢.

(٢) مفردات ألفاظِ القرآن ٥٤٣.

(٣) الكتاب ٤/٤٦٤ – ٤٦٥.

الواوِ والألفِ والياءِ، وفيها رِخاوةٌ لجرتْ الحركاتُ لشدَّةِ اتّصالِها بالحروفِ الشّديدةِ إلى شيءٍ من الرِّخاوةِ فلم تتبيّنْ شِدّتُها))[1].

ويتّضحُ من نصِّ الاستراباذي هذا استعمالُ (الاعتبار) للدلالةِ على ما أردنا إثباتَهُ، وهو إيرادُها للتعبيرِ عن أسلوبٍ من أساليبِ البحثِ وطريقةٍ في البرَهنةِ تناسبُ البحثَ الصّوتيّ أدركه علماءُ العربيَّةِ، فحينَ يكونُ الأمرُ ذا صِلةٍ بالكشفِ عن حقيقةِ الشديدةِ والرّخوة من أصواتِ العربيَّةِ، فلا بدَّ من (اعتبارِ) طريقةِ تكوّنِها، وذلك بتأملِ أو مشاهدة واختبار ذلك باستعمالِها ساكنةً غيرَ محرّكةٍ، حتّى لا يتأثّرَ نُطقُها بما يُصاحبُها من أصواتِ المدِّ فتضطربَ محاولةُ اكتشافِ الشديدِ من الأصواتِ وتميّزِهِ من الصّوتِ الرّخوِ.

ثانياً – الامتحانُ والاختبارُ

لو بدأنا الحديثَ عن دلالةِ هاتينِ في اللغةِ لما وجدنا معناهما قد يبتعدُ كثيراً عن دلالةٍ من دلالاتِ (الاعتبارِ) التي مرَّ ذِكرُها، وقد مرَّ بنا ما جاءَ في المعجمِ الوسيطِ: اعْتَبَرَ الشيءَ: اختبَرَه وامتحنَهُ، وهي دلالةٌ عربيَّةٌ أصيلةٌ غيرُ مولّدةٍ.

ووجاء استعمالُ هاتين اللفظتين: الامتحان والاختبار في اللغة للدلالةِ على ما له صِلةٌ بالنّظرِ والتأملِ، جاء في كتاب العين: ((وامْتَحَنْتُهُ وامْتَحَنْتُ الكلمةَ، أي: نظرتُ إلى ما يصيرُ صيرها))[2]، وجاء في المعجم الوسيط: ((امتَحَنَ فلاناً: اختبَرَهُ، و– ابتلاه، و– الشيءَ: نَظَرَ فيه ودبَّرَهُ ... والامتحانُ: الاختبارُ))[3].

(١) شرح الشافية ٣/٢٦٠.

(٢) العين ٣/٢٥٣.

(٣) المعجم الوسيط ٢/٨٩١.

وارتبطت دِلالةُ (الاختبار) في اللغة بمعنى التّجريب، قال الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ): ((والخابِرُ: المُخْتَبَرُ المُجرِّبُ))[١].

وليس بعيداً القولُ إنَّ استعمالَ (الامتحانِ) أو (الاختبارِ) في البَرهنةِ الصّوتيَّةِ كانَ مرادفاً لاستعمالِ (الاعتبار)، ولكنَّ الذي سوّغَ فصلَ الحديثِ عن هذهِ الوسيلةِ: (الامتحانِ) أو (الاختبارِ) هو أنَّ نضجَ النّصِّ الصّوتيّ عندَ العربِ قد صيَّر الاستنادَ إلى هذهِ الوسيلةِ يكادُ يكونُ مستقلاً، والنظرُ في النّصوصِ الآتيةِ لعلماءِ اللغةِ والتّجويدِ تُشْعرُ أنَّهم بدؤوا يصطحبونَ في تحليلاتِهم الصّوتية ما في دلالةِ هاتينِ اللفظتينِ من معنى التّجريبِ، الذي قد يغيبُ عن معاني (الاعتبارِ) لوضوحِ دلالةِ هذه اللفظةِ على الاتّعاظِ والتّأمُّلِ.

ومن أنفسِ النّصوصِ التي يَضُمُّها تراثُنا اللغوي التي تدلُّ دِلالةً صريحةً في أنَّ (الامتحانَ) صار طريقَ بَرهنةٍ في دراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ تُغني عن غيرِها من البراهين ما ذهبَ إليه السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) من أنَّ (الامتحانَ) يقومُ مقامَ (المشاهدةِ)، وكانَ ذلك في أثناءِ حديثِهِ عن التّقارُبِ بين الأصواتِ اللغويَّةِ في المخارجِ أو الصّفاتِ، قال: ((لأنَّ الحروفَ قد تتآخى باتّفاقاتٍ بينها على غيرِ جهةِ كونِها في حيّزٍ واحدٍ، وغير التّجاوُرِ في المخرجِ، لاشتراكِهما في الغُنّةِ، وقد تُقلبُ الهمزةُ واواً وياءً وليست من مخرجِهما، كقولك في مؤمن وجؤنة وذِئب وبِئر: مومن وبير، وقد كفانا امتحانُ ذلك، فإنَّه كالمشاهدةِ ، لأنّك لو بدأتَ بحرفٍ مفتوحٍ ثمَّ وصلتَ به واواً أو ياءً أو ألفاً، ثمَّ وقفتَ تبيَّنَ لك اختلافُ مخارجها ... وهذا لا يحتاجُ إلى إقامةِ البراهينِ عليه))[٢]، فذهابُهُ إلى أنَّ الامتحانَ كالمشاهدةِ إدراكٌ واضحٌ لما تتطلَّبُهُ دراسةُ الصّوتِ اللغويِّ من بَرهنةٍ تناسبُها، وهو ما كانَ كالمشاهدةِ، أي: يُرى رأيَ عينٍ، ولا شكَّ في أنَّ طبيعةَ البحثِ الصّوتيّ

(١) العين ٢٥٨/٤.

(٢) شرح كتاب سيبويه ٣٩٣/٥.

تستلزمُ أنْ تكونَ وسائلُ البَرهنةِ فيها ما هو قابلٌ للملاحظةِ والوقوعِ في موقعِ الخاضعِ للحواسِّ، وقد أدرك علماؤنا ذلك على نحو ما نجدُ في نصِّ السّيرافيّ هذا.

وكذلك (الاختبارُ) جاءَ التّنظيرُ له في تراثِنا اللغويّ، وثبتُ عدّهُ وسيلةً بحثيّةً يُرْتكنُ إليها حينَ يكونُ في البحثِ اللغويّ ما هو مُحْوِجٌ إليهِ، على نحوِ ما جاءَ في ذهابِ الشاطبي (ت) إلى أنَّ (الاختبارَ) يحصُلُ بأمورٍ حدّدها بقولِهِ: ((أنَّ مقصودَهُ الاختبارُ بما يجدُهُ الإنسانُ في نفسِهِ من ذوقٍ صناعيٍّ، أو دُربةٍ استعماليَّةٍ، وخبرةٍ عاديَّةٍ على الجملةِ))[1]، فالذّوقُ الصّناعيّ، والدّربةُ والخبرةُ هو ما يؤسّس للاختبارِ وسيلةً في البحثِ اللغويّ، وإيرادُ الشّاطبيّ لها في بابِ النّحوِ ليس مانعاً من تعميمِها، وتوظيفِها في البحثِ الصّوتيّ، فطريقةُ التّعبير عن هذه الوسيلةِ تسوِّغُ مثلَ هذا التعميمِ.

هذا على مستوى التّنظيرِ، أمّا على مستوى النّصوصِ التّفصيليّةِ:

- **الامتحان**

أمّا (الامتحان) فإنَّ استعمالَه في الاستدلالِ الصّوتيّ كان بارزاً في تراثِنا العربيّ، وقد ارتبطَ استعمالُهُ كثيراً مع المبحثِ الصّوتيِّ الذي هو بحاجةٍ إليه وهو تحديد المخارِجِ، من ذلك ما جاء في قولِ الفرَّاء (ت ٢٠٦ هـ): ((والطَّاءُ والدَّالُ يُدغمانِ عند التَّاءِ أيضاً إذا أُسْكِنتا، كقولِهِ: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ ، تُخْرِجُ الطَّاءَ في اللفظِ تاءً، وهو أقربُ إلى التّاءِ من الأحرفِ الأُوَلِ[2]، تجدُ ذلك إذا امتحنتَ مخرجيهما))[3].

---

(١) المقاصد الشافية ٣/١٣٠.

(٢) كانَ قد تحدَّث قبل هذا عن إدغامِ الثّاء والذّالِ في التّاءِ، ينظر: معاني القرآن ١/١٧٢.

(٣) معاني القرآن ١/١٧٢.

وقال الإمامُ أبو محمدٍ العُماني (من علماءِ القرنِ الرّابع) – معقّباً على ترتيب الخليل لبعضِ الأصواتِ اللغويَّةِ –: ((وقال آخرون: إنّما وقع تقديمُ العينِ على الهاءِ لاستباهٍ وقعَ عنده في الامتحانِ لرِقَّةِ الهاءِ وهشاشتِها، فإذا رُفِّهَ عنها توجدُ كأنّها تخرجُ من الفمِ، فإذا خُفّفت تجدها تخرجُ من آخرِ الحلقِ، فذاقها الخليل بالتّخفيفِ، ولو ذاقها بالتّشديدِ لوجدها أسفلَ من العينِ، وهذا وجهٌ جيّدٌ، فإذا أردتَ معرفتَه فامتحنْ نفسَك، وقل: أهَّلك الله للخيرِ، فتجدَ الهاءَ عند التشديدِ تخرجُ من أقصى المخارِجِ، وإنْ رفّهتَ عنها، قلتَ: ما شَهِدْتُ كذا، وجدتَ شيئاً من صوتِها يخالِطُ اللسانَ))[1]، فالنّقد الذي وجّهه العُمانيُّ وغيرُهُ لترتيبِ الخليل لمخرجِ الهاءِ كانَ على طريقتِهِ في امتحانِ مخرجِ هذا الصّوتِ، والطريقةُ الفُضلى في تحديدِ مخرجِ الهاءِ كانت – عند العُمانيِّ – إنّما تحدُثُ إذا تغيّرتْ طريقةُ الامتحانِ، فالأمرُ كلُّهُ مستندٌ إلى هذه الوسيلةِ (المعمليَّةِ) في تحديدِ مخارِجِ الأصواتِ اللغويَّةِ التي كانت متاحةً أمامَ العلماءِ السّابقينَ.

وحينَ عَرَضَ أبو جعفر السّعيديّ (ت) لاختلافِ وَجهاتِ النّظرِ في التّعاملِ مع اختلافِ القيمِ الصّوتيَّةِ للواو والياءِ بينَ أنْ تكونَا صائتاً طويلاً أو غيرَ ذلك، كانَ ميزانُ التّرجيحِ عنده هو (الامتحانُ)، قال: ((ووجدتُ أهلَ العربيَّةِ في هذه الياءاتِ والواواتِ على قوانينَ فمنهم من لا يُميّزُ بينَ الياءِ المكسورِ ما قبلها... وبين الياءِ المفتوحِ ما قبلَها... وين الواوِ المضمومِ ما قبلها... وبينَ الواو المفتوحِ ما قبلِها... جميعاً من حروفِ المدِّ، وذلك عندي سهوٌ وغلطٌ، ومنهم من دقَّ نظرُهُ وحدَّ بصرُهُ فميّزَ بينهما، وجعل الواوَ المضمومَ ما قبلها من حروفِ المدِّ... وجعل المفتوحَ ما قبلها من الجوامدِ

(١) الكتاب الأوسط في علم القراءات ٨٣.

التي لا مدَّ فيهِنَّ... وهو الصّوابُ، الفرقُ بينهما ظاهرٌ بيِّنٌ، وهو علمُ ضرورةٍ، وإن امتحنتَ نفسَك وجدتَه كذلك))[1] .

- **الاختبارُ**

برز مصطلح (الاختبار) علماً على وسيلةٍ بحثيّةٍ لجأ إليها علماءُ العربيَّةِ والتّجويدِ في مناقشة مسائل صوتيَّةٍ ولا سيّما المتّصلةِ بتحديد مخارجِ الأصواتِ اللغويَّةِ، فحين حدّد سيبويه مخارجَ اللامِ والنّون والرّاءِ وجعل لها ثلاثة مخارج متجاورة[2]، وافقه من وافقه من العلماءِ بعده وخالفه من خالفه، وبُني على هذا الخلافِ خلافٌ في عددِ مارجِ الأصوات اللغويَّةِ في العربيَّةِ عرَض أبو حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) لهذا الخلافِ، وبيَّنَ أنَّ (الاختبارَ) يؤيّد مذهبَ سيبويه قال: ((ومحلُّ الخلافِ هو مخرج اللامِ والنّونِ والرّاء، فمذهبُ هؤلاءِ أنَّه مخرجٌ واحدٌ، ومذهبُ الجمهور أنَّها ثلاثةٌ مخارجَ، وهو الصّحيحُ لتبايُنِها عند الاختبار))[3].

وتقومُ طريقةُ (الاختبار) الواردة في تراثِنا اللغوي من أجل تحديدِ مخارِجِ الأصواتِ اللغويّةِ على أساسِ ما استعملَهُ الخليلُ بن أحمدَ الفراهيديّ من طريقةٍ مرويَّةٍ عنه في هذا الباب، فقد جاءَ في مقدِّمةِ العين: ((وإنّما كانَ ذواقُهُ إيّاها أنَّه كانَ يفتحُ فاهُ بالألفِ ثمَّ يُظْهِرُ الحرْفَ، ابْ، اتْ، احْ، اعْ، اغْ، فوجدَ العينَ أدخلَ الحروفِ في الحَلقِ، فجعلَها أوّلَ الكتابِ ثمَّ ما قَرُبَ منها الأرفعُ فالأرفعُ حتّى أتى على آخرِها وهو الميمُ))[4].

---

(١) كتاب فيه مقادير المدِّ ٤٠

(٢) ينظر: الكتاب ٤/.

(٣) ارتشاف الضّرب ٦/١، وينظر: تجويد النشر ، لابن الجزريّ (ت ٨٣٣ هـ) ٦٤، ٦٦، وغُنيةُ المريد ، للقلقيليّ ٧٢ – ٧٣.

(٤) العين ٤٧/١.

وقدْ لقيَتْ هذه الطّريقةُ قبولاً عند القدماءِ والمحدَثينَ، وصارتْ أسلوباً عمليّاً في تحديدِ مخارِجِ الأصواتِ اللغويَّةِ، قائماً على التّجربةِ الذّاتيَّةِ، يقول ابنَ جنّي: ((وسبيلُك إذا أردتَ اعتبارَ صَدَى الحرفِ أنْ تأتيَ بهِ ساكناً لا متحرّكاً، لأنَّ الحركةَ تُقلِقُ الحرفَ عن موضعِهِ ومستقرِّهِ، وتجتذبُهُ إلى جِهةِ الحرفِ التي هي بعضُهُ، ثمَّ تُدخِلُ عليه همزةَ الوصلِ مكسورةً من قبلِهِ، لأنَّ السّاكنَ لا يُمكنُ لا يُمكنُ الابتداءُ بهِ، فتقول: اِكْ، اِقْ، اِجْ، وكذلك سائرُ الحروفِ، إلا أنَّ بعضَ الحروفِ أشدُّ حصراً للصّوتِ من بعضِها))[١].

ولم تُلغِ التّجارِبُ المعمليَّةُ الحديثةُ أسلوبَ الخليل هذا في تحديدِ مخارِجِ الأصواتِ اللغويَّةِ، ذلك بأنّها وجدتْ من يؤيّدها من الأصواتيينَ المحدثينَ من العرب وغيرِهم، يقول الدّكتور قاسم البريسم: ((الحقيقةُ أنَّ أفضلَ طريقةٍ بسيطةٍ وعضويّةٍ يمكنُ للشخصِ أنْ يختبرَ بها نطقَ الصّوتِ، هي طريقةُ الخليلِ التي تابعه عليها ابنُ جِنّي، أمّا الطّرق الحديثةُ لاختبارِ موضعِ نطقِ الصّوتِ فهي كثيرةٌ ومعقّدة وفي غايةِ الدّقّةِ، وتقوم على تصويرِ النّطقِ بأشعَّةِ إكس أو استخدامِ الأحناكِ الاصطناعيَّةِ أو مرآة الحَنجرة وغيرُها كثير، والجديرُ بالذكرِ أنَّ أستاذي في جامعةِ لندن جونستون كان يميلُ إلى استخدامِ طريقةِ الخليلِ في نطقِ الصّوتِ إذا تعذَّرَ له استخدامُ الأجهزةِ، وكان يشيدُ بها وعدَّها طريقةً مثاليّةً))[٢].

ثالثاً – المشافهةُ

المشافهةُ – من حيثُ تصريفُها – من: شافَهَهُ، والبناءُ يدُلُّ على المفاعلة، أي: المشاركةُ بينَ اثنينِ، وجاء بيانُ (المشافهةِ) في اللغةِ في قولِ

(١) سرّ صناعةِ الإعراب ١٩/١ – ٢٠ ، وينظر: غنية المريد ١١٦.

(٢) علم الصوت العربي ١٤٨.

الخليلِ: ((والمشافهةُ بالكلامِ: المواجهةُ من فيك إلى فيهِ))[١]، ودلالتُها على إدناءِ الشّفاه في أثناءِ الكلامِ ثابتةٌ في اللغةِ، قال الفيروزآباديّ (ت ٨١٧ هـ) ((وشافَهَهُ: أدْنى شَفَتَهُ من شَفَتِهِ))[٢]، فدلالةُ هذه اللفظةِ على حصولِ المخاطبةِ بينَ المتكلّمينِ مواجهةً وحضوراً واضحةٌ على نحوِ ما نرى[٣].

ويبدو أنَّ علماءَ العربيَّةِ – خاصّةً – قد أدركوا أنَّ من المباحثِ الصّوتيَّةِ ما لا يوقفُ عندَ حقيقتِهِ إلا إذا تلقّاهُ المتعلِّمُ والدّارِسُ مشافهةً عمّنْ يُتقِنهُ، فهذا يعني أنَّ (المشافهَةَ) عندهم صارتْ أسلوباً من أساليبِ البحثِ العلميّ المتعلّقِ بدراسةِ الصّوتِ اللّغويّ، وقد تتابع علماءُ العربيَّةِ على الاستنادِ إلى هذه الوسيلةِ العمليّةِ.

فقد تحدّثَ سيبويهِ عن إشباعِ الحركاتِ في لغةِ قسمٍ من العربِ، وأشارَ – فيما يبدو – إلى المفارقةِ بين الكتابةِ والنّطقِ في التّعاملِ مع هذه الحركاتِ التي تُشبعُ – نُطقاً – لكنّها تبقى حركةً – كتابةً –، ونبّه على أنَّ إدراكَ ذلك حقيقةً لا يكونُ إلا مشافهةً، قال: ((هذا بابُ الإشباعِ في الجرِّ والرَّفعِ وغيرِ الإشباعِ، والحركةُ كما هي، فأمَّا الذين يُشبِعون فيَمطّطون، وعلامتُها واوٌ وياءٌ، وهذا تُحكِمُهُ لك المشافهةُ، وذلك قولك: يضرِبُها، ومن مأمنِك))[٤].

وحينَ يلحقُ نظامَ الصّوائتِ في العربيّةِ بعضُ التّعاملاتِ النّطقيّةِ كالإخفاءِ وغيرِها ويحتاجُ البحثُ إلى تحليلِها والوقوفِ عندها فإنَّ علماءَ العربيَّةِ قد بيّنوا أنَّ ذلك تُحكِمُهُ المشافهةُ، قال المبرّدُ: ((والإخفاءُ في وزنِ

(١) العين ٤٠٢/٣.
(٢) القاموس المحيط ٢٨٦/٤.
(٣) ينظر: المعجم الوسيط ٥٠٦/١ – ٥٠٧.
(٤) الكتاب ٢٠٢/٤.

المتحرِّكِ إلا أنَّه خفضُ صوتٍ وإنّما يحكمُها المشافهةُ، نحو قولك: أركَ متعقِّفاً، إنّما هو كالاختلاسِ))[١].

ويبدو أنَّ وجودَ طائفةٍ من الظواهرِ الصّوتيّة أو سلسلةٍ من الأصواتِ الفرديّةِ التي ليس لها تمثيلٌ كتابيٌّ في العربيَّةِ قد صارَ مدخلاً واضحاً عند علماءِ العربيَّةِ في إثباتِ أنَّ من المباحثِ الصّوتيّةِ ما لا يُحكمُ إلا مشافهةً، إذ لا تمثيلَ كتابيّاً له يُسَهِّلُ تحليلَه أو نقلَ تحليلِهِ إلى الدّارِسِ والمتعلِّمِ، فمن الظواهرِ الصّوتيّةِ تخفيفُ الهمزةِ وجعلُها بينَ بينَ، إذ لم يملكْ علماءُ العربيَّةِ وسيلةً تدوّنُ هذه الظاهرةَ وتنقلُ حقيقتَها فبيّنوا أن لابدَّ من المشافهةِ لإحكامِها، قال الزّجاج (ت ٣١١ هـ): ((وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أجودُ القراءةِ بتحقيق الهمزةِ، ويجوزُ جعلُها بينَ بينَ، يكونُ بينَ الهمزةِ والياءِ فيلفظُ بها سُيِلَ،وهذا إنّما تُحكِمُهُ المشافهةُ لأنَّ الكِتابَ فيه غيرُ فاصلٍ بين المتحقّقِ والمليَّنِ وما جُعِلَ ياءً خالِصةً))[٢].

وأمّا سِلسِلةُ الأصواتِ الفرديَّة التي ليس لها تمثيلٌ كتابيٌّ في العربيَّةِ فذلك ما تحدّثَ عنه علماءُ العربيَّةِ من الأصواتِ الفرعيَّةِ المستحسنةِ (كالشينِ التي كالجيمِ، والصّادِ التي كالزّاي، وغيرُها)[٣]، وغيرِ المستحسنة (كالكافِ التي بين الجيمِ والكافِ، والجيم التي كالكافِ وغير ذلك)[٤] ، ومن الصّوائت كالفتحةِ المشوبةِ بشيءٍ من الكسرةِ أو الضّمّةِ، أو الكسرة المشوبة

(١) المقتضب ١/٢١١.
(٢) معاني القرآن وإعرابُهُ
(٣) ينظر: الكتاب ٤/٤٣٢.
(٤) ينظر: المصدر نفسه

بشيءٍ من الضّمّةِ، أو الضّمّة المشوبة بطرفٍ من الكسرة[١]، وفي ذلك يؤكِّدُ ابن جنّي أنَّ المشافهةَ تُحكمُها وتوضّحُ حالَها فيما له صِلةٌ بالصّوامت[٢]، وفي الصّوائت يقولُ: ((فهذا ونحوُهُ ممّا لابدَّ في أدائِهِ وتصحيحِهِ للسّمعِ من مشافهةٍ توضّحُهُ وتكشفُ خاصَّ سِرِّهِ))[٣].

رابعاً– قوّة النّظر والبحثِ

بَرَزَ عند علماءِ المسلمين – ولا سيّما أهل التّجويد منهم – ظاهرةُ الاستنادِ إلى ما أسمَوهُ بـ (قوّة النظّرِ والبحثِ) أو (القياس والنّظر) أو (قوّة النّظر) في أثناءِ دراساتِهم الصّوتيَّةِ، والوقوفُ عند نصوصِهم يكشفُ أنّهم عَنوا بذلك التّأملَ وترديد التّفكير ودِقّةَ التّفكيرِ، حينَ وجدوا أنَّ من المباحثِ الصّوتيَّةِ ما يستدعي مثل ذلك، وهذا يسوّغُ القولَ إنَّ ذلك صار طريقةً في البَرهنةِ الصّوتيَّةِ في تراثِنا العربيّ.

يقولُ الإمامُ مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ): ((وكذلك إن كانت الرّاءُ المشدّدةُ بعدها حرفٌ آخرُ مشدّدٌ وَجَبَ أنْ يظهرَ التّشديدُ في الرّاءِ، ويخفى التّكريرُ، فيتمكّنُ عند ذلك التّشديد في الرّاءِ، ثمَّ يُشدّدُ الحرفُ الذي بعدَ الرّاءِ تشديداً بالغاً، والرّاءُ في قوَّةِ النّظرِ والبحثِ ابينُ تشديداً منه، لأجل إخفاءِ التّكرير، وذلك نحو: ذُرّيَّة، وذُرّيّاتهم، والرّبّانيّون، فالرّاء أبينُ في التّشديدِ من الياءِ والباءِ))[٤].

(١) ينظر: سرّ صناعة الإعراب ٦٧/١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٦٦/١.

(٣) المصدر نفسُهُ ٦٨/١.

(٤) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ٢٥٩ ، وينظر: الجامع المفيد ٤٥٠، ٤٥٥ – ٤٥٦، وغنية المريد ٣٢٦.

ويقولُ السنهوري: ((والرّاءُ في قُوَّةِ النّظرِ إنْ ضُمّت أو فُتِحت أبينُ تشديداً منه، لأجلِ إخفاءِ التّكرير))[١].

وفي مسألةِ إخفاءِ الميمِ عند الباءِ ناقش القلقيليّ رأي من ذهبَ إلى أنَّ الحكمَ هو إخفاءُ الميم، وردَّ رأيَهم ورأى أنَّ القياسَ والنّظرَ يحكمُ بامتناعِ وقوعِ هذا الإخفاءِ، يقول: ((وإذا كانَ أئمّةُ النّحويينَ لم ينُصّوا عن العربِ جوازَ الإخفاءِ، وهو ظاهر الامتناعِ في القياسِ والنّظرِ، سيّما إذا كانتِ الميمُ قد قُلِبت عن النّونِ السّاكنةِ، فإنَّ فيه الرّجوعَ إلى ما انصُرِفَ عنه، وتُرك على ما يأتي بيانُهُ، ولا بيّنَ من عبَّرَ في ذلك بالإخفاءِ من أهلِ الأداءِ والعربيَّةِ حقيقةَ مرادِهِ لم ينبغِ أنْ يُحملَ إلا على الإظهارِ الذي ليس فيه فُحشٌ ولا تنفير))[٢].

وحينَ اختُلِفَ في الغُنَّةِ أتكونُ جزءاً من صوتِ النّونِ في كلِّ حالٍ سواءٌ أكانت ساكنةً أم متحرّكةً، أم تلحقُ الساكنةَ دونَ المتحرّكةِ، رجّح القليليّ أنَّ الغُنَّةَ ملازمةٌ للنّونِ، واستدلَّ على ذلك بما يؤديه النّظرُ، قال: ((لأنَّه محالٌ أن تكون الغنّةُ في حالِ سكونٍ دونَ حالِ حركةٍ في النّظرِ، وإنّما يقتضي النّظرُ لزومَ الغُنَّةِ لها في كلِّ حالٍ))[٣].

ولم تُلغِ الدراسات الصوتيَّةُ الحديثةُ نتائجَ أبحاثِ علماءِ العربيَّةِ هذه المستندةِ إلى النظرِ وقوتِهِ، فما زالت تصفُ النون مثلاً على نحوِ ما وُصِفَ في التراثِ، فما زالتْ هذه الدراسات الحديثةُ تصف النون بأنَّه صوتٌ أنفي يُنطقُ ((عن طريق اتصالِ طرفِ اللسانِ باللثةِ اتصالاً محكماً يمنع مرور الهواءِ، وتخفيض الطبق اللين ليسمح بمرور الهواءِ من تجويف الأنفِ:

(١) الجامع المفيد ٤٥٩ – ٤٦٠.

(٢) غنية المريد ٢٣٧ – ٢٣٨.

(٣) المصدر نفسه ٢٤٢.

أنفي))[1]، فلم يفرّق هذا الدرسُ بين نونٍ متحرّكةٍ وأخرى ساكنةٍ، على نحوِ ما وجدنا عند القلقيلي – مثلاً – ، الذي كان مستنداً إلى النّظرِ، وكانَ الدرسُ الحديثُ مستنداً إلى وسائلِهِ الحديثةِ، فاختلفا في وسائلِ البحثِ لكنّهما التقيا في النتائجِ.

خامساً – الطّبعُ المستقيمُ

إنَّ توفّرَ هذه الوسائلِ البحثيَّةِ التي أشارَ إليها علماءُ العربيَّةِ للقيامِ بدراسةٍ صوتيّةٍ علميَّةٍ دقيقةٍ من: اعتبارٍ وامتحانٍ أو تجربةٍ ومن مشاهدة وقوّةِ قياسٍ أو نظرٍ لا بدَّ أنْ يتلوَ ذلك ما سُمّي بالطّبعِ المستقيمِ، وتكادُ نصوصٍ من ذكرَ هذه الوسيلةَ تبيّنُ أنَّ المرادَ بالطّبعِ المستقيمِ هو سلامةُ أداءِ أعضاءِ آلةِ النّطقِ للأصواتِ اللغويَّةِ وقيامِها بمثلِ ذلك من غيرِ خللٍ في هذا الأداءِ أو تكلّفٍ، ولا إخالُ نكونُ مغالينَ إذا قلنا إنَّ استقامةَ الطّبعِ عند القدماءِ تكادُ تناظرُ سلامةَ الوسائلِ المختبريّةِ الحديثةِ التي تستعملُ في دراسةِ الأصواتِ وتحليلِها.

ومن أقدمِ من وجدتُهُ قد أشارَ إلى هذه الوسيلةِ المهمةِ في دراسةِ الأصوات ولا سيّما تحديد مخارج الأصوات اللغوية هو ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) حين قال: ((ألا ترى أنَّك إذا نطقتَ بالنُّونِ والرّاء ساكنينِ وجدتَ طرفَ اللسانِ عند النّطقِ بالرّاءِ فيما هو بعدَ مخرجِ النّونِ، هذا هو الذي يجدُهُ المستقيمُ الطّبعِ، وقد يُمكنُ إخراجُ الرّاءِ ممّا هو أدخلُ من مخرجِ النون، ومن مخرجِها، ولكنْ يُتكلّفُ لا على حسبِ إجراءِ ذلك على الطّبعِ

(١) دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر ٣١٦ ، وينظر: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث ، للدكتور حسام البهنساويّ ٧٨ – ٧٩.

المستقيمِ، والكلامُ في المخارجِ إنَّما هو على حَسَبِ استقامةِ الطّبعِ لا على التكلّفِ))[١].

وقد وجدتْ هذه الإشارةُ الدّقيقةُ من ابنِ الحاجِبِ صدىً عند العلماءِ ممّن جاءَ بعده، وصارَ من التّقاليدِ العلميَّةِ المتّبعةِ إقرارُ فكرةِ أنَّ تحديدَ المخارجِ لا بدَّ أنْ يستندَ إلى الطّبْعِ المستقيمِ، قال محمد المرعشي المعروفُ بساجقلي زادهْ (ت ١١٥٠ هـ): ((ترتيبُ المخارجِ بحسبِ حكمِ الطّبعِ المستقيم خالياً من التّكلُّفِ... فاختلاف علماءِ الأداءِ في ترتيب المخارِجِ اختلافٌ في حكمِ الطّبعِ المستقيمِ))[٢] .

وأحسبُ أنَّ إدراكَ أثرِ هذه الوسيلةِ (الطّبعِ المستقيم) في تحديدِ مخرجِ الأصواتِ اللغويَّة اعترافٌ بأنَّ توفّرَ: الاعتبارِ والامتحان أو الاختبار أو غير ذلك من وسائلَ بحثيَّةٍ نصَّ عليها القدماءُ قد لا يكون ذا جدوى إنْ لم يكن مشفوعاً ذلك كلّه بطبعٍ مستقيمٍ قادرٍ على أداءِ الأصوات اللغويَّةِ من غيرِ تكلُّفٍ أو خروجٍ عند حدِّ السّلامةِ في أداءِ الأصوات.

(١) الإيضاح في شرح المفصل ٤٨١/٢.

(٢) جهد المقل ١٢٩، وينظر: ١٣١ – ١٣٢.

المبحث الثّالث

توظيف التّجربة العضويّةِ في البحثِ الصّوتيّ عند العربِ

يُمكنُ القولُ إنَّ دراسةَ الصّوتِ اللغويّ تُعدُّ البابَ الوحيد من الدراساتِ اللغويَّـةِ التـي يُمكـنُ أن تخضـعَ للتجرِبـةِ العمليَّـةِ والمشـاهدةِ الحسّـيّةِ، ولـيس جديداً القولُ إنَّ إخضـاعَ دراسةِ الصّوتِ اللغويّ لنتائجِ التجاربِ والمختبراتِ الصّـوتيَّةِ صـارَ مـن التّقاليـدِ العلميَّـةِ المعاصـرةِ التـي لا يتـردّدُ فـي قبولِهـا الباحثون اللغويّونَ.

ولـم تكـنْ مثلُ هذه الوسـائلِ متاحـةً فـي تراثِنـا اللغـويّ، ولـم تكـنْ فـي متناولِ علماءِ اللغةِ أو غيرِهم، ولكنَّ ذلك لم يمنـعْ هؤلاءِ العلماءَ من إدراكِ أنَّ دراسةَ الصّوتِ اللغويّ تحتاجُ – فيما تحتاجُ إليه – إلى أنْ يخضع جانبٌ منهـا للحـواسِّ، وأنْ يسـتندَ تحليلُهـا إلـى مـا يُمكـنُ مشـاهدتُهُ وإخضـاعُهُ للملاحظةِ الذاتيةِ والتّجرِبةِ المرئيَّةِ.

وقـد تنـاثرت فـي مصـنفاتِ اللغـويين وعلمـاءِ التّجويـد مـا يشـهدُ أنَّ علماءَنا قد أدركوا ذلك، ففي حديثِ سيبويهِ عن طائفةٍ من الأصواتِ اللغويّة نلحظُ أنَّه استند في وصفِها وتحليلِها إلى خصائصَ نُطقيّةٍ تقبلُ الملاحظةَ وتخضـعُ للحـسِّ والمشـاهدةِ، كـان ذلـك فـي حديثِـهِ عمّـا أسـماه: الحـروف المشرَبَةِ، إذ بيَّنَ أنّ منها ما يخرجُ منها نحو النّفخةِ، ولا شكَّ أنَّ (النّفخةَ) ممّا يخضعُ للسمعِ والملاحظةِ، قال: ((ومن المشرَبةِ حروفٌ إذا وقفتَ عندها خرجَ معها نحوُ النفخةِ ولم تُضْغطْ ضغطَ الأولى، وهي: الزّاي، والظّاء، والذّال، والضّاد، لأنَّ هذه الحروفَ إذا خرجتْ بصوتِ الصّدرِ انسلَّ آخرُهُ وقد فَتَرَ من بينِ الثّنايا، لأنَّه يجدُ منفذاً، فتسمعُ نحوَ النّفخةِ))[1].

(١) الكتاب ١٧٤/٤

ونجدُ في نصوصِهم التمثيلَ بالمحسوسِ، إدراكاً منهم لأثرِ ذلك – فيما يبدو في تقريبِ الحقيقةِ الصّوتيَّةِ في أذهانِ المتلقّينَ، يقول القلقيليّ: ((ألا ترى أنَّ سيبويه وغيرَه من النحويين نقلوا عن العربِ أنَّ حروفَ الاستعلاءِ كالقافِ إذا وقعت بعد الألفِ التي تُمالُ مكسورةً منعت من الإمالةِ اتّفاقاً من العربِ كـ(باقِر) و(باخِل) و(باطِل) لاستعلائِها، وعدم التّناسبِ في اللفظِ الذي له استُجيزت الإمالةُ، وهو الخروجُ من تسفّلِ الإمالةِ إلى تصعّدِ التّفخيمِ في هذه الحروفِ، فما كان امتناعُهُم إلا لأنَّهم لا يخرجون من ترقيقٍ إلى تفخيمٍ، ولا من تسفّلٍ إلى تصعّدٍ، لأنَّ كالخروجِ من سُفلٍ إلى علوٍّ في المحسوسِ، وهو ما يَصعُبُ ويشُقُّ، ولهذا رفضوا في كلامِهم الخروج من الكسرةِ إلى الضّمّةِ))[١].

المطلب الأوّل: توظيفُ الحواسِّ في دراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ

أدركَ علماءُ العربيّةِ (وغيرُهم) أنَّ دراسةَ الأصواتِ وتحليلَها تستلزمُ توظيفَ طائفةٍ من الحواسِّ المتّصلةِ بإنتاجِ الصّوتِ اللغوي أو تلقّيه، وهذا الإدراكُ دليلٌ على الوقوفِ عند الجانبِ الماديِّ من دراسةِ اللغةِ، والحواسُّ التي أشاروا إليها في نصوصِهم الصّوتيّةِ هي:

أولاً – السّمعُ

ليس من البعيدِ عن الصّوابِ القولُ إنَّ نصوصَ علماءِ العربيَّةِ في الإشارةِ إلى (السّمعِ) في إدراكِ بعضِ الحقائقِ الصّوتيَّةِ كانت أكثرَ من غيرِها من النصوصِ التي أشارتْ لغيرِها من الحواسّ، وهذا إدراكٌ صحيحٌ للعنصرِ الرّئيس في دراسةِ الصوتِ اللغوي، ومن ذلك ما جاءَ في قولِ سيبويهِ: ((وإذا وقفتَ في المهموسِ والأربعةِ قلت:: أفرِشْ، واحبسْ، فمَدَدْتَ

(١) غنية المريد ٢١٣.

وسمِعتَ النّفْخَ، فَتَفَطَّنْ، وكذلك: الفَظْ، وخذْ، فَنَفَخْتَ فَتَفَطَّنْ، فإنَّكَ سَتَجِدُهُ كذلك إنْ شاءَ الله))[١].

وحينَ أرادَ سيبويهِ أنْ يبيّنَ أنَّه إذا اجتمعت الضّادُ والطّاءُ فقد تُبدلُ الطّاءُ ضاداً، وقد يحدُثُ العكسُ فيبدلُ الضّادُ طاءً، وبرهنَ على الفرقِ بين الإبداليِن بالاستنادِ إلى (السّمعِ)، قال: ((والضّادُ بمنزلةِ الصّادِ لما ذكرتُ لك من استطالتِها، كالشّينِ، وذلك قولك: مُضْطجع، وإنْ شئتَ قلتَ: مضّجع، وقد قال بعضُهم: مطّجِع، حيثُ كانت مطبقةً ولم تكنْ في السّمعِ كالضّادِ، وقَرُبت منها وصارتْ في كلمةٍ واحدةٍ))[٢] .

وحين ذهبَ سيبويهِ إلى أنَّ إدغامَ الهاءِ في الحاءِ يلزمُ له قلبُ الهاءِ حاءً، ثم إدغامُهما، واستدلَّ على ذلك بقول الراجز:

كأنَّها بعدَ كلالِ الزّاجِرِ ومسْحِّي مرٌّ عُقابٍ كاسرِ[٣]

ردَّ عليه المبرّدُ وذهب إلى أنَّ هذا خطأٌ، لأنَّه لا يجوزُ الجمعُ بين ساكنينِ: السّينِ، والحاء الأولى، ولكنَّ الإخفاء حسنٌ[٤].

ثمَّ جاءَ ابنُ ولادٍ (ت ٣٣٢ هـ) وانتصر لرأي سيبويهِ ن وحينَ رأى أنَّ مناقشةَ الحقيقةِ الصّوتيَّةِ وتقليبَ النّظرِ بينَ أنْ يكونَ الذي حدثَ (بين الهاءِ والحاءِ) إدغامٌ على نحوِ ما ذهبَ سيبويهِ أو إخفاء على نحوِ ما رجّحه المبرّدُ كان الاستنادُ إلى (السّمعِ) في التمييزِ بين الظّاهرتينِ الصّوتيتينِ (الإدغام والإخفاءُ) ومن ثّمَّ في ترجيحِ رأي سيبويهِ، قال: ((فأمَّا قولُهُ: إنَّ جائزٌ على الإخفاءِ، فغيرُ ممتنعٍ، وولـيس يلتبِسُ بالإدغامِ في السّمعِ،

(١) الكتاب ١٧٥/٤ – ١٧٦.
(٢) المصدر نفسه ١٧٠/٤.
(٣) ينظر: الكتاب
(٤) ينظر: المقتضب

لا سيّما على من عرّفنا الفرقَ بين هذه الأشياءِ، واستدلَّ على ما يلتبِسُ في السّمعِ منها مثلَ الإخفاء، والإسكان، وتخفيفِ الهمزةِ إذا جُعِلتْ بينَ بينَ، وإسكانُها، فمثلُ هذا يلتبِسُ ويحتاجُ ‘لى الاستدلالِ على أنَّه متحرّكٌ أو ساكنٌ، فأمّا الإخفاءُ والإدغامُ فالفَرْقُ بينهما بيِّنٌ في السّمْعِ))[١] ، وتكرارُ لفظةِ الالتباس في نصِّ ابن ولادٍ هنا لها دِلالتُها، ذلك أنّه نفى وجودَ الالتباسِ بين الإخفاءِ والإدغامِ عموماً وعند سيبويهِ على وجهٍ خاصٍّ بوضوحِ الفرق بين هاتينِ الظاهرتينِ في السّمعِ، من أجلِ ذلك كان الراجحُ عندَ ابن ولاد في أمر (ومسْحِّي) هو الحملُ على الإدغامِ لا الإخفاء على نحوِ ما ذهبَ سيبويهِ.

وأشار السيرافيّ إلى (السّمع) في إثباتِ التقاربِ بينَ النونِ والميمِ الذي سوّغَ إدغامَ النونِ في الميمِ على رغمِ تباعدِ المخارجِ بينهما، قال: ((يريدُ أنَّ النّون والميم، وإنْ كان مخرجاهما متباعدَينِ فقد جمعهما على بُعد مخرجيهما شيئانِ يوجِبانِ إدغام النونِ في الميمِ، وهما: الجهرُ والغُنَّةُ، حتّى صارتا متشابهتينِ في السّمعِ،وقد تتشابه الحروفُ بالكيفيات على بعد مخرجيهما بأقوى من التّشابه بتقاربِهما في المخرجِ))[٢].

وإذا كانتِ الدّراساتُ الصّوتيّةُ الحديثةُ تستندُ إلى وسائلَ معمليَّةٍ ومختبريَّةٍ دقيقةٍ في التمييزِ بين بعضِ الظواهرِ الصوتيَّةِ المعروفةِ في العربيَّةِ بحاجتِها إلى مثلِ هذه الوسائلِ، كالرّومِ والإشمامِ والإتمامِ بسببِ قُربِ التناسبِ الصّوتيّ بينها فإنَّ افتقادَ العلماءِ السّابقينَ إلى مثلِ هذه الوسائلِ لم يمنعْهم من اصطناعِ بدائلَ تمكنُهُم من ضبطِ الحدودِ الفاصلةِ بينَ مثلِ هذه الظّواهرِ المتقاربةِ، فحينَ تحدَّثَ أبو عليّ الفارسيّ (ت ٣٧٧ هـ) عن الفرقِ

(١) الانتصار لسيبويه على المبرّد ٢٧٠

(٢) شرح كتاب سيبويه ٤٢٥/٥.

بين الإشمام والرّوم، وعن الفرقِ بين الرّومِ والإتيانِ بالحركةِ كاملةً أبانَ عن أساسِ ما يُفرِّقُ بين هذا كلِّهِ وهو: السّمعُ، فقد بيَّنَ أنَّ الإشمامَ يراهُ البصيرُ دو الأعمى، وهو لا يسمعُهُ واحدٌ منهما، ويكونُ بالرّفعِ خاصّةً، وأمّا الرَّوْمُ فهو أبلغُ من الإشمامِ، لأنَّه إتيانٌ بجزءٍ من الحركةِ، قال: ((وليس الرّومُ بحركةٍ، إنّما هو أنْ تَرومَ الحركةَ فتنتحي نحوَها ولا تُبالغ، فيدلّ بذلك في الوقفِ على أنَّ أصلَ الكلمةِ التحرُّك في الأصلِ))[1]، ثمَّ بيّنَ أنَّ مقياسَ التمييزِ بينَ الرّومِ والإشمامِ، وبين الرّومِ والحركةِ الكاملة هو: السّمع، قال: ((متى سَمع سمعاً واستوى الأعمى والبصيرُ في إدراكِهِ بحاسَّةِ السّمعِ فليس بإشمامٍ، إنّما هو رَوْمٌ، وليس يُنكِرُ أنْ يكون مسموعاً كما أنَّ الألفَ والواوَ والياءَ النواقص المسماة حركاتٍ مسموعةً، إلا أنَّ الفصْلَ بينَ الرَّومِ وبينها أنَّ الرَّومَ أخفى من تلك إشباعاً، وأظهر للسّمْعِ من الرَّومِ للسّمعِ))[2].

ثانياً – الرُّؤيةُ والمشاهدةُ

يجدُ المستقري لنصوص التّراثِ ولا سيّما نصوص علماءِ العربيَّةِ أنَّ علماءَنا قد أدركوا أنَّ جانباً من دراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ يخضع للرؤيةِ والمشاهدةِ، وأنْ لا بدَّ – في سبيلِ تحليلٍ صوتيٍّ دقيقٍ – من البَرْهنةِ على ما يؤدّيه النّظرُ بالعينِ من نتائجَ وملاحظاتٍ، وقد مرَّ بنا نصُّ السّيرافيّ الدّقيق الذي يكشفُ عن مكانةِ المشاهدةِ في البحثِ الصوتيّ عند العربِ، حين رأى أنَّ الامتحانَ (أو الاختبار) كالمشاهدةِ، وكأنَّه في هذا يشيرُ أنَّ المشاهدةَ أعلى منزلةً في البَرهنة العلميَّةِ، قال: ((لأنَّ الحروفَ قد تتآخى باتفاقاتٍ بينها على غيرِ جهةِ كونِها في حيِّزٍ واحدٍ، وغيرِ التّجاورِ في المخرجِ، لاشتراكِهما في الغُنَّةِ، وقد تقلبُ الهمزةُ واواً وياءً وليست من مخرجِهما كقولك

(١) التعليقة على كتاب سيبويه ٤/٢١٤

(٢) المصدر نفسه ٤/٢٣١ – ٢١٤

في مؤمن وجؤنة وذئب وبئر: مومن وبير، وقد كفانا امتحانُ ذلك، فإنَّه كالمشاهدةِ))[١].

وفي تراثِ العربيَّةِ مباحثُ صوتيَّةٌ واضحةُ الحاجةِ إلى إخضاعِها إلى ملاحظةِ العينِ المجرَّدةِ من أجلِ أنْ تُدركَ حقيقتُها، وقد كانَ علماءُ العربيَّةِ على وعيٍ بذلك، ومن ذاك أنَّ السيرافيَّ حينَ أرادَ أنْ يستدلَّ على أنَّ رِخاوةَ الظاءِ والذّالِ والثَّاءِ أشدُّ من رِخاوةِ الصادِ والسّينِ والزّاي، لجأَ إلى ذلك بالإشارةِ إلى رؤيةِ الخارجِ من اللسانِ عندَ نُطقِ هذه الأصواتِ، فما خرَجَ من اللسانِ عند نُطقهِ كانَ أكثرَ رِخاوةً، قال: ((يعني أنَّ الظّاءَ والذّالَ والثّاءَ أشدُّ رِخاوةً، لأنَّ اللسانَ في النّطقِ بهنَّ يخرُجُ عن الأسنانِ، ولا تردُّهنَّ الأسنانُ كما نردُّ السّينَ والزّايَ والصّادَ، وذلك أنَّ الظّاءَ والذّالَ والثّاءَ إذا وقفتَ على كلِّ واحدٍ منهما رأيتَ طرفَ اللسانِ خارجاً عن أطرافِ الثّنايا، والصّادُ والزّايُ والسّينُ إذا وقفتَ على واحدةٍ منهنَّ رأيتَ الأسنانَ العليا مطبقةً على الأسنانِ السّفلى، واللسانُ من وراءِ الأسنانِ إلى الفمِ))[٢].

واستأثرَ مبحثُ (الإشمام) بنصيبٍ وافرٍ – عند علماءِ العربيَّةِ – في بابِ توظيفِ حاسَّةِ البصرِ في تحليلِ الظاهرةِ الصّوتيَّةِ وبيانِ حقيقةِ الإشمام، وقد قدّم سيبويهِ وشرّاحُهُ نصوصاً دقيقةً في هذا الباب، فقد بيَّنَ سيبويهِ – مثلاً – أنَّ الإشمامَ لا يكونُ إلا في الرّفعِ، وعلّل ذلك تعليلاً يقومُ على أساسِ أنَّ الرؤيةَ تُدركُ الإشمامَ في الرّفعِ بسببِ حركةِ الشّفتينِ دون النّصبِ الجرِّ اللذينَ لا حركةَ للشفتينِ فيهما، قال: ((وأمّا ما كانَ في موضعِ نصبٍ أو جرٍّ فإنَّك تروم فيه الحركةَ وتضاعفُ... وأمّا الإشمامُ فليس إليه سبيلٌ، وإنّما كانَ ذا في الرّفعِ لأنَّ الضّمّةَ من الواوِ، فأنتَ تقدرُ أنْ تضعَ

(١) شرح كتاب سيبويه ٣٩٣/٥.

(٢) شرح كتاب سيبويه ٤٣٨/٥ – ٤٣٩.

لسانَكَ في أيِّ موضعٍ من الحروفِ شئتَ ثمَّ تَضمَّ شَفَتَيكَ، لأنَّ ضمّكَ شفتيكَ كتحريكِ بعضِ جسدِك، وإشمامُ في الرّفعِ للرؤيةِ وليس بصوتٍ للأُذُنِ، ألا ترى أنَّك لو قلتَ هذا مَعْنْ، فأشْممتَ كانت عندَ الأعمى بمنزلتِها إذا لم تُشْمِم، فأنتَ قد تقدرُ على أنْ تضعَ لسانكَ موضعَ الحرفِ قبل تَزجيةِ الصوتِ ثمَّ تضمَّ شفتيكَ،ولا تقدر على أنْ تفعلَ ذلك ثمَّ تحرّك موضع الألفِ والياءِ))[1].

وفسَّرَ الأخفشُ (ت ٢١٥ هـ) قولَ سيبويه (ألا ترى أنَّك لو قلتَ هذا مَعْنْ، فأشْممتَ كانت عندَ الأعمى بمنزلتِها إذا لم تُشْمِم) وذهبَ في بيانِ معنى هذا القولِ وتوجيهِهِ على النّحوِ الذي يؤكّدُ فيه أنَّ إشمامَ المرفوعِ ممكنٌ لأنَّ آلتَه وهي الشّفتانِ يمكنُ إدراكُهما بالنّظرِ، أمّا آلةُ المنصوبِ والمجرور فهي غيرُ ممكنِ الإدراكِ لأنّها غيرُ ظاهرةٍ للعيانِ، قال: يعني أنّك وَضَعتَ لسانَك وحَلْقَكَ موضِعَ بعضِ الحروفِ، واستطعتَ ن تَضُمَّ شَفَتَيْكَ حتّى تُعلِمَ الذي يُبْصِرُكَ أنَّكَ تَنوي الرّفعَ في الحرفِ، وإذا تَكَلَّمتَ بالحرفِ فأردتَ أنْ تُعْلِمَ أنَّكَ تَنويَ فيه الكسرَ والفتحَ كما فعلتَ في المرفوعِ لم تقدِرْ على ذلك، أي: لم تقدِرْ على أنْ تُريَ من يَنْظُرُ إليكَ ما في فيكَ وحَلْقِكَ، كما أَرَيتُهُ ما في شَفَتَيْكَ، لأنَّ ما في الشّفتينِ يظهرُ للناظِرِ، وما بَطَنَ في الفَمِ لا يظهرُ))[2].

وحينَ ذهبَ الأخفشِ إلى القولِ إنَّ الإشمامَ يفهم بالسّمعِ دون النظرِ، فقال: ((هذا الذي يدَّعي في الإشمامِ ليس كما يقولُ، وهو يُفهمُ بالسَّمعِ دون النّظرِ))[3]، ردَّ عليه أبو علي الفارسي مبيّناً أنَّ ما يُدركُ بالسّمعِ الرّومُ، قال:

(١) الكتاب ١٧١/٤.

(٢) حواشي كتاب سيبويه ١٥٨٣/٣.

(٣) التعليقة على كتاب سيبويه ٢١٤/٤.

((متى سُمِعَ سمعاً واستوى الأعمى والبصيرُ في إدراكِهِ بحاسَّةِ السّمعِ فليس بإشمامٍ، إنّما هو رَوم))[١].

واستندَ أبو عليّ الفارسيّ– في بيانِ مفهومِ الإشمامِ – إلى النّظرِ إلى حَرَكةِ الشّفتينِ وفي بيانِ أنَّ الإشمامَ يكونُ في الرّفعِ دونَ النّصبِ والجرِّ، قال: ((قال بعضُ أصحابِنا: الإشمامُ في الرّفعِ خاصّةً، وهو أنْ تلفِظَ بالحرفِ ثمَّ تضمّ شَفَتَيكَ عند انقضاءِ الحرفِ ليس إلا، فيكونُ الأعمى والبصيرُ في سمعِ ذلك سواءٌ، لا يسمعُهُ واحدٌ منهما، إنّما يراهُ البصيرُ، لأنَّ ضَمَّكَ شفتيك كتحريكِ بعضِ جسدِكَ، وإنّما كانَ في الرّفعِ خاصّةً بضمِّ الشّفتينِ، والجرُّ والنّصبُ لا يُمكنُ ذلك فيهما))[٢].

وصرَّح الرّمّانيّ (ت ٣٨٦ هـ) بأنَّ آلةَ الشّفتين هي ما يُستدلُّ بهِ على الإشمامِ، قال: ((والفَرقُ بين الإشمامِ ورَوْمِ الحركةِ أنَّ رَومَ الحركةِ يُدرِكُهُ الأعمى والبَصيرُ، لأنّه صَوتٌ، والإشمامُ لا يُدْرِكُهُ إلا البصيرُ، لأنَّه ضَمُّ الشّفتينِ من غيرِ صَوتٍ، ولا يُمكنُ في الجرِّ والنّصبُ مثلُ ذلك، لأنَّه ليس له آلةٌ، كما لِضَمِّ الشّفتينِ آلةٌ يُمكنُ أنْ يُدَلَّ بها عليه))[٣].

وكان لابن جِنّي (ت ٣٩٢ هـ) نصٌّ نفيسٌ يوضّح فيه أنَّ الإشمامَ هو للعينِ لا للأذنِ، فأكّد فيه أثرَ توظيفِ هذه الآلةَ وحاسّتَها (الرؤيةَ) في إدراكِ كُنْهِ هذه الظاهرةِ الصّوتيَّةِ، قال: ((ومعلومٌ أنَّ هذا الإشمامَ إنّما هو للعينِ لا للأذنِ... فإذا قَنِعوا من الحَرَكةِ بأنْ يومئوا إليها بالآلةِ التي من عادتِها أنْ تستعملَ في النّطقِ بها، من غيرِ أنْ يخرجوا إلى حِسِّ السّمعِ شيئاً من الحركةِ، مشبعةً ولا مختَلَسةً، أعني إعمالَهم الشّفتينِ للإشمامِ في المرفوعِ،

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه ٤/٢١٣.

(٣) شرح كتاب سيبويه ٧/٣٢٣٢.

بغيرِ صوتٍ يسمعُ هناك، لم يبقَ وراءَ ذلك شيءٌ يستدلُّ بهِ على عنايتِهم بهذا الأمرِ، ألا ترى إلى مصارفتِهم أنفسَهم في الحركةِ على قِلَّتِها ولُطْفِها، حتّى يخرجوها تارةً مختلسةً غيرَ مشبعةٍ، وأخرى مُشَمَّة للعينِ لا للأذنِ))[1].

المطلب الثاني: توظيفُ التّجربةِ العمليَّةِ العضويَّةِ في دراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ

صار الاستنادُ إلى الأجهزةِ المختبريّةِ والوسائلِ المعمليَّةِ من التّقاليدِ المتّبعةِ في الدّراساتِ المعاصرةِ للصّوتِ اللغويِّ، وصار المختبرُ الصّوتيُّ جزءاً رئيساً في الأبحاثِ الصّوتيّةِ التي ينبغي منشئوها إقامةَ نتائجِها على اليقينِ العلميِّ أو ما يُشبِهُ اليقينَ العلميَّ، ولا سيّما إذا امتلك الباحثُ اللغويُّ الدُّربةَ العلميَّةَ والعمليَّةَ المناسبتينِ.

ويجدُ المتتبّعُ لنصوصِ تراثِنا اللغويِّ أنَّ غيابَ هذه الوسيلةَ عن علماءِ العربيَّةِ المتقدّمينَ والمتأخرينَ لم يمنعْهم من توظيفِ جانبٍ رئيسٍ في إنتاجِ الأصواتِ اللغويَّةِ وهو أعضاءُ آلةِ النّطقِ في إجراءِ بعضِ ما يُمكنُ تسميتُهُ بالتجاربِ العمليَّةِ عن طريقِ هذه الأعضاءِ في دراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ في بابِ مخارجِ الأصواتِ اللغويّة، والالتفاتُ إلى هذه الوسيلةِ عند علماءِ العربيَّةِ التفاتٌ إلى الوسيلةِ الممكنةِ في التّراثِ اللغويّ العربيّ، ثمّ إنّها محاولةٌ لبناءِ الحقيقةِ العلميّةِ على وسائلَ خاضعةٍ للملاحظةِ، وهذا من سماتِ العلميَّةِ في البحثِ الصّوتيِّ عند العربِ، وقد كانَ سيبويهِ رائدَ علماءِ العربيَّةِ في فتحِ هذا الباب

أولاً – الاستنادُ إلى تجريبِ أعضاءِ النّطقِ في تحديد مخرجَيْ القافِ والكافِ.

حدّد سيبويهِ مخرجَ القافِ بقولِهِ: ((ومن أقصى اللسانِ وما فوقه من الحنك الأعلى مُخرجُ القافِ))[2]، وقد تلا ذلك عنده مخرج الكافِ فقال:

(١) الخصائص ١/١١٨.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣.

((ومن أسفلَ من موضعِ القافِ من اللّسانِ قليلاً وممّا يليه من الحَنَكِ الأعلى مُخرجُ الكافِ))[١].

وقدّمَ سيبويهِ في موضعٍ آخرَ تجربةً عمليَّةً يُثبِتُ فيها أنَّ مخرجَ القافِ يسبقُ مخرجَ الكافِ، وتقومُ هذه التّجربةُ على أساسِ توظيفِ الأعضاءِ المشاركة في إنتاجِ هذين الصوتين وهي أقصى الحَنَكِ في سبيلِ إثباتِ هذا السّبْقِ، فمجافاةُ الحنكينِ وإبعادِ أحدِهما عن الآخرِ إلى أقصى ما يُمكن يُثبِتُ أنَّ الصّوتَ الذي يُمكنُ نُطقُهُ في هذه الحالةِ هو السّابقُ منهما، وهو القافُ، قال: ((هذا بابُ ما تُقلبُ فيه السينُ صاداً في بعضِ اللغات، تقلبُها القافُ إذا كانت بعدها في كلمةٍ واحدةٍ، وذلك نحو: صُقتُ وصَبَقْتُ، وذلك أنَّها من أقصى اللسانِ، فلم تتحدِرْ انحدارَ الكافِ إلى الفمِ، وتصعَّدتْ إلى ما فوقَها من الحَنَكِ الأعلى، والدّليلُ على ذلك أنَّ لو جافيتَ بينَ حَنَكَيْكَ فبالغتَ ثمَّ قلت: قَقْ قَقْ، لم ترَ ذلك مُخِلاً بالقافِ، ولو فعلتَه بالكافِ وما بعدَها من حروفِ اللسانِ أخلَّ ذلك بِهِنَّ فهذا يدُلُّك على أنَّ معتمدَها على الحَنَكِ الأعلى))[٢] .

والتّأمّلُ في لغةِ التّعبيرِ العلميّ التي استعملها سيبويه في هذا النّصِّ تكشِفُ أنَّ الاستنادَ إلى مثلِ هذه التّجاربِ العمليَّةِ كانَ مقصوداً وذا أثرٍ في البحثِ الصّوتيّ عند علماءِ العربيَّةِ، فهو يستعملُ (والدّليلُ على ذلك...) و(فهذا يَدُلُّكَ...)، وكأنَّ مثلَ هذه الوسائلِ هي الطريقةُ الوحيدةُ للبَرهنةِ على صِحَّةِ إثباتِ أنَّ القافَ تسبِقُ الكافَ.

ثانياً – الاستنادُ إلى تجريبِ أعضاءِ النّطقِ في بيانِ مخرجِ غُنَّةِ الميمِ والنّونِ

تحدَّثَ سيبويهِ عن أنَّ للميمِ والنّونِ معتمداً في الفمِ والخياشيمِ، ومعتمدهما في الخياشيمِ جاءَ بسببِ الغُنّةِ التي اتّصفا بها، إذ إنَّ مخرجَ هذه

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسُهُ ٤/٤٧٩ – ٤٨٠.

الغُنَّةِ من الخيشوم، وهو الذي يسمّيه المحدثون التّجويفَ الأنفيّ، وقد قدّمَ سيبويهِ تجربةً عمليَّةً عضويّةً من أجلِ أنْ يُثبِتَ أنَّ الغُنَّةَ من الخيشوم، وهي تجربةُ سدِّ الأنفِ، إذ إنَّ إغلاقَ الأنفِ يؤدّي إلى الإخلالِ بتكوّنِ الغُنّةِ هذه، يقول: ((إلا أنَّ النّونَ والميمَ قد يُعتمدُ لهما في الفمِ والخياشيمِ فتصيرُ فيهما غُنَّةٌ، والدّليلُ على ذلك أنَّك لو أمسكتَ بأنفِكَ ثمَّ تكلّمتَ بهما لرأيتَ ذلك قد أخلَّ بهما))[1]، ولا شكَّ في أنَّ لغةَ التّعبيرِ العلميّ التي استندَ إليها سيبويهِ في التّعبيرِ عن هذه الحقيقةِ كانت ذاتَ دِلالةٍ هنا، فهو قد اتّخذ من هذه التّجربةِ دليلاً على صِحَّةِ ما يقول، قال (والدّليلُ...)، فلا شكَّ في أنَّ اتّخاذ التّجربةِ العمليَّةِ دليلاً إثباتٌ للطريقةِ العلميّةِ للبَرهنةِ في دراسةِ الصّوتِ اللغويّ عند علماءِ العربيَّةِ.

وقد تتابع العلماءُ على ترديدِ هذه التّجربةِ ونقلِ طريقةِ سيبويهِ هذه في إثباتِ مخرجِ غُنَّةِ الميمِ والنّونِ من الخيشوم[2].

وتحدَّثَ سيبويهِ عن الحروفِ الشديدةِ التي يجري فيها الصّوتَ، وأشارَ إلى الميمِ والنّونِ وكرَّرَ الإشارةَ – كذلك – إلى التّجربةِ التي تُثبِتُ مخرجَ غُنَّةِ هذينِ الحَرفينِ من الأنفِ، قال: ((ومنها حرفٌ شديدٌ يجري معه الصّوتُ لأنَّ ذلك الصّوتَ غُنَّةٌ من الأنفِ، فإنّما تخرِجُهُ من أنفِك واللّسانُ لازمٌ لموضعِ الحرفِ، لأنَّ لو أمسكتَ بأنفِك لم يجرِ معه الصّوتُ وهو النّونُ، وكذلك الميمُ))[3] .

وصار التّعبيرُ عن هذه التّجربةِ العمليَّةِ عند العلماءِ بعد سيبويهِ بالإشارةِ إلى أنَّ البُرهانَ الذي يُستندُ إليه في بيانِ هذه الغُنَّةِ (ومراتبِها) هو هذه التّجربةُ العضويَّةُ، قال السّنهوري: ((قال الجعبريّ: وبرهانُهُ في سدِّ

(١) الكتاب ٤/٤٣٤.

(٢) ينظر: الأصول في النحو ٣/٤٠١، وسرّ صناعة الإعراب ١/٦١، والكتاب الأوسط في علم القراءات ٨٨، وشرح الشافية، لرضي الدين الاستراباذي ٣/٢٦١.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٥.

الأنفِ، وهي في السّاكنِ أكملُ من المتحرّكِ، وفي المخفى أزيدُ من المظهرِ، وفي المدغمِ أوفى من المخفى))[١] .

وقد ترِدُ الإشارةُ إلى هذه التّجربةِ عند سيبويه في أثناءِ حديثِهِ عن بعضِ الظّواهرِ الصّوتيَّةِ كالإدغامِ، وكأنَّ في ذلك إشارةً إلى أثرِ الاستنادِ إلى مثلِ هذه الوسائلِ في تفسيرِ ظواهرَ صوتيّةٍ تركيبيّةٍ، فحينَ تحدّثَ عن الإدغامِ والإظهارِ بينَ حروفِ الشفتينِ رأى أنَّ الإظهارَ أحسنُ، لما في أحدِ الحرفينِ من غُنّةٍ يُستدلُّ عليه بتجربةِ سدِّ الأنفِ، قال: ((فإن قلتَ: اصحبْ مطراً،وهما شديدانِ، والبيانُ فيهما أحسنُ، فإنَّما ذلك لاستعانةِ الميمِ بصوتِ الخياشيمِ، فضارعت النّونَ، ولو أمسكتَ بأنفِكَ لرأيتَها بمنزلةِ ما قبلَها))[٢] ، فقد أرادَ سيبويهِ النَّصَّ على أنَّ وجودَ الغُنَّةِ في الميمِ – التي يُستدَلُّ عليها بتجربةِ سدِّ الأنفِ – صيّرت هذا الحرفَ في حكمِ الحرفِ البعيدِ مخرجُهُ عن موضعِ الباءِ – في: اصحَبْ مَطَراً –، فمن أجلِ ذلك صارَ البيانُ أو الإظهار أحسنَ من الإدغامِ، قال السيرافيّ: ((يريدُ أنَّ الميمَ فيها غنّةٌ، والغُنَّةُ من الخيشومِ، فصار بمنزلةِ ما تجافى عن موضعِهِ وجرى فيه الصّوتُ))[٣]، وقال الرمانيّ: ((فأمّا (اصْحبْ مَطَراً) فالبيانُ أحسنُ، وإن كان الحرفانِ شديدينِ، لتجافي اللّسانِ للميم بالذّهابِ إلى موضعِ الخياشيمِ))[٤].

(١) الجامع المفيد ٣٥٩ – ٣٦٠.

(٢) الكتاب ٤/٤٦١.

(٣) شرح كتاب سيبويه ٥/٤٣٨.

(٤) شرح كتاب سيبويه ٨/٣٧٨٦.

المبحث الرّابع

التّمثيلُ بالمحسوساتِ في البحثِ الصّوتيّ عند العربِ

يتفـرّدُ البحـثُ الصّـوتيُّ ويتميّـزُ عـن غيـرِهِ مـن الأبحـاثِ اللغويّـة (الصرفيّةِ، والنّحويَّةِ، والدّلاليّةِ...) غلى قابليّتِهِ إلى تشبيهِ حقائقِهِ وقسمٍ من مسائلِهِ بالمحسوساتِ أو الجوانبِ المادّيّة في الحياةِ، وقد سلك المعنيّون بعلمِ الأصوات عامّةً (اللغويّـةِ وغيـر اللغويّـةِ) هذا المسلكَ بغيـةَ تقريـبِ مباحـثِ الصّوتِ من المتعلّمينَ، أو بغيةَ تقريرِ حقائقِهِ العلميّةِ بإيجادُ ما يُماثِلُها من واقعِ الإنسانِ المادّيّ القابلِ للملاحظةِ.

وقـد لاحـظَ القـارئُ الكـريمُ أنّنـا كُنّـا فـي مسـارِ البحـثِ نشـيرُ إلـى الانشـغالاتِ بدراسـةِ الأصـواتِ عمومـاً ولـيس عنـد اللغـويّين وحـدهم، وهـذه حقيقةٌ علميّةٌ مفادُها أنَّ المنشغلينَ بدراسةِ الصّوتِ اللغوي وغير اللغويّ لم يكونـوا اللغـويين دونَ غيـرِهم، بـل شـاركهم فـي ذلـك علمـاءُ ينتمـون إلـى تخصّصاتٍ أخرى، على نحوِ ما فصّل الوقوف عندهم الأستاذ عبدالحميد زاهيد في كتابِهِ: علم الصّوت وعلم الموسيقى، وسيجد القارئُ هنا إشاراتٍ ووقفاتٍ عند أولئك الذي درسوا الصّوتِ اللغويّ ومثّلوا لـه بما يجدونـه في حياتِهم المادّيّةِ، ولا شكَّ في أنَّ لذلك أثرَهُ في تأسيسِ خطابِ تأصيلِ البحثِ الصّوتيّ عند العربِ، فالتماسُ ما يماثلُ الصّوتَ وإنتاجَه من الحياةِ المادّيّةِ المحيطةِ بالباحثِ يُسْهِمُ في الكشفِ عن الجهدِ الذّاتيّ الذي بذلهُ العربُ في سبيلِ دراسةِ الصّوتِ اللغويّ.

وقد أدرك العلماءُ العربُ الصّلةَ بين دراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ وغيرِها من العلومِ والمعارفِ التي تُعنى بأمرِ الصّوتِ عامّةً، ومنه علم الموسيقى، يقولُ ابنُ جنّي: ((وإنّما أردنا بهذا التّمثيلِ الإصابةَ والتّقريبِ، وإنْ لم يكنْ هذا الفنُّ ممّا لنا ولا لهذا الكتابِ بهِ تعلُّقٌ، ولكنَّ هذا القبيلَ من هذا العلمِ،

أعني: علم الأصواتِ والحروفِ، له تعلُّقٌ ومشاركةٌ للموسيقى، لما فيه من صَنْعَةِ الأصواتِ والنّغَمِ))[١].

المطلبُ الأولُ – التّمثيلُ بالمحسوسات عند علماءِ العربيَّةِ وعلماءِ التّجويدِ

عُنيَ عماءُ العربيَّةِ وعلماءُ التّجويدِ بدراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ أكثرَ من غيرِهم، ونلاحظُ أنَّهم قد التفتوا – منذ عهدٍ مبكّرٍ – إلى ظاهرةِ التمثيلِ بالمحسوساتِ، ووظفوا ذلك في دراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ، ومن هؤلاءِ الأخفش (ت ٢١٥ هـ) الذي تحدّث عن صدى الألفِ وشبّهه بالصّوت الذي يكونُ في جوفِ الشيء، يقول: ((وذلك أنَّ الألفَ إذا كانت بين حرفينِ كان لها صدىً، كنحوِ الصّوتِ يكونُ في جوفِ الشيءِ، فيتردّدُ فيه فيكونُ أكثرَ وأبينَ))[٢].

وكانَ ابنُ جنّي من العلماءِ الذي روَوا في كتبِهم عمّن شبّه الحَلْقَ والفمَ بالنّايِ والعودِ، في نصٍّ طويلٍ ننقلُهُ مع طولِهِ، قال: ((ولأجلِ ما ذَكَرنا من اختلافِ الأجراسِ في حروفِ المعجمِ باختلافِ مقاطعِها، التي هي أسبابُ تبايُنِ أصدائِها ما شبّه بعضُهم الحلق والفمَ بالنّايِ، فإنَّ الصّوتَ يخرجُ فيه مستطيلاً أملسَ ساذَجاً، كما يجري الصّوتُ في الألفِ غُفْلاً بغيرِ صَنعةٍ، فإذا وضع الزّامرُ أنامِلَهُ على خُرُوقِ النّايِ المنسوقةِ، وراوَحَ بينَ أنامِلِهِ اختلفتِ الأصواتُ، وسُمِعَ لكلِّ خَرقٍ منها صوتٌ لا يُشبِهُ صاحِبَهُ، فكذلك إذا قُطِعَ الصّوتُ في الحَلقِ والفمِ باعتمادٍ على جهاتٍ مختلفةٍ كان سبب استماعِنا هذه الأصواتِ المختلفةِ، ونظيرُ ذلك أيضاً وترُ العُودِ، فإنَّ الضّارِبَ إذا ضربه وهو مرسَل، سمعت له صوتاً، فإنْ حَصَرَ آخِرَ الوتَرِ بعضِ أصابعِ يُسراه، أدّى صوتاً آخرَ، فإنْ أدناها قليلاً، سمعتَ غيرَ

(١) سر صناعة الإعراب، ٢٢/١.

(٢) معاني القرآن ٣٨٥/١، وينظر: علم الأصوات وعلم الموسيقى ١١٤.

الاثنينِ، ثمَّ كذلك كلما أدنى أصبُعه من أوَّلِ الوتَرِ غُفلاً غير محصورٍ، تجدُهُ بالإضافةِ إلى ما أدّاه وهو مضغوطٌ محصورٌ، أملسَ مهتزّاً، ويختلفُ ذلك بقدر قوة الوَتَرِ وصلابتِهِ، وضعفِهِ ورِخاوتِهِ، فالوترُ في هذا التّمثيلِ كالحَلْقِ، والخَفْقَةُ بالمِضرابِ عليه كأوّلِ الصّوتِ من أقصى الحلقِ، وجريانُ الصّوتِ فيه غُفلاً غير محصورٍ كجريانِ الصّوتِ في الألفِ السّاكنةِ، وما يعترِضُهُ من الضّغطِ والحَصْرِ بالأصابعِ كالذي يعرِضُ للصوتِ في مخارِجِ الحروفِ من المقاطعِ، واختلافُ الأصواتِ هناك كاختلافِها هنا))[1].

وقد تلقّى الباحثونَ المعاصرونَ تشبيه ابنِ جنّي هذا تلقّياً حسناً، وعدّوه ملمحاً علميّاً عُرِفَ بِهِ يُقرُّه عليه الدّرسُ الصّوتيُّ الحديثُ، يقول الدكتور عبدالغفار حامد هلال: ((ونظرةُ ابنِ جنّي هذه نظرةٌ علميَّةٌ صائبةٌ تشيرُ إلى حاجةِ الدّراسةِ الصّوتيَّةِ إلى الجانبِ العمليِّ التّطبيقيّ المعتمدِ على الآلاتِ، كما نرى ذلك متّبعاً في العصرِ الحديثِ الذي أُجريت فيه التّجارِبُ المعتمدةُ على الآلات والأجهزةِ المعمليّةِ الدّقيقةِ))[2].

وتلقّى بعضُ علماءِ التّجويدِ هذا المنهجَ ووظفوه في دراستِهم للأصواتِ اللغويَّةِ على نحو من نجدُ عند ابنِ الطّحّانِ السّماتي، الذي شبّهَ الفمَ بالأنبوبِ عند تكوّنِ الواو والياءِ المدّيّتينِ، يقولُ: ((وأمّا الواوُ والياءُ فإنّهما ما وَقَعتا بعدَ حركتِهما فإنَّ سكونَهما ميِّتٌ، وذلك أنَّه غيرُ جارٍ على عُضْوٍ، ولا حاصلٍ في حيِّزٍ، إنّما يصيرُ الفمُ لصوتيهِما كالأنبوبِ))[3].

(١) سر صناعة الإعراب ١/٢١ – ٢٢.

(٢) الصّوتيات اللغويّة ١٨.

(٣) مرشد القارئ إلى تحقيق معالمِ المقارئ ٥٨.

ويقولُ كمال الدّين ابن الحكم الفرخان: ((والأصوات الحيوانية والإنسانيُّ منها خاصّة أشبهُ شيءٍ بالأصواتِ الزّمريّة[١] لشبهِ الحلوقِ بالمزاميرِ، فالحَلقُ كأنَّه مزمارٌ مخلوقٌ، والمزمارُ كأنَّه حلقٌ مصنوعٌ، والنّاطقُ بالحَرفِ إذا نطقَ بتسريبِ الهواءِ المحتقنِ في رئتِهِ وما حواليها من التّجاويفِ فمُنْفِذُهُ[٢] جملةً إلى خارجٍ كالزامرِ إذا زمرَ بتسريبِ الهواءِ الدّاخلِ في المنفخ الخارجِ من الثُّقْبِ المقابل له على استِقامةٍ، أو من سائرِ الثُّقبِ التي جعلت منه على معاطفَ، واختلاف مخارج الحروفِ يشبه بوجهٍ ما اختلاف الثقب والتّعدّد في آلاتِ النّطقِ وهي الحَنَكُ واللسانُ وأجزاؤه والشَّفتانِ والخيشومُ واللهاةُ والحَنجرةُ))[٣].

المطلبُ الثّاني – التّمثيلُ بالمحسوساتِ عند الفارابيّ (ت ٣٣٩ هـ)

لم يكنِ الانشغالُ بدراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ حِكراً على علماءِ العربيَّةِ وعلماءِ التّجويدِ في تراثِنا العربيّ، بل النّاظرُ في هذا التّراثِ يجدُ علماءَ آخرينَ شُغلوا بدراسةِ ظاهرةِ الصّوتِ عموماً ومنها ظاهرةُ الصّوتِ اللغويّ، وقد كان من هؤلاءِ الأطبّاءُ والفلاسفةُ والموسيقيون، وقدّموا نظراتٍ مهمةً في دراسةِ الأصواتِ لا بدَّ أنْ تجدَ لها مكانها في دراستِنا الحديثةِ وهي تؤرّخُ للبحثِ الصّوتيّ في تراثِنا العربيّ.

وكانت نصوصُ الفلاسفةِ في هذا البابِ ذاتُ قيمةٍ علميَّةٍ، ولا سيّما في مؤلّفاتِهم عن (الموسيقى)، ومن هؤلاءِ الفارابيُّ الفيلسوف (ت ٣٣٩ هـ)،

---

(١) في الأصل المطبوع: الرّمزية، والتّصحيحُ من السياقِ، وممّا نقله الأستاذ عبدالحميد زاهيد في: علم الأصوات وعلم الموسيقى ٥٠.

(٢) في نقلِ الأستاذ عبدالحميد زاهيد: فنطقه، وهو تصرّفٌ في النصِّ لا مسوّغَ له، وما أثبتُّهُ هو الوارد في نصِّ الكتاب.

(٣) المستوفي في النحو ٢/٢٢١.

الذي دوّنَ أبرز النّصوصِ في هذا البابِ في كتابِهِ: الموسيقى الكبير، الذي قرّرَ في فصلٍ من فصولِهِ حقيقةَ أنَّ ثمَّةَ اشتراكاً قد يكونُ النِّغَمِ الإنسانيَّةِ وغيرِها من أنواعِ النّغَمِ الصادرةِ عن الحيوانِ والأجسامِ، قال: ((إنَّ الأعراضَ التي تلحقُ النغمَ الإنسانيَّةَ، بعضُها خاصّةٌ لها دون الكائنةِ عن سائرِ الأجسامِ سِواها من حيوانٍ أو غيرِهِ، وبعضُها يوجدُ لها ولنغمِ سائرِ الحيوانِ دونَ غيرِهما ممّا ليس بحيوانٍ،وبعضُها يوجَدُ لها وللنّغمِ الحادِثةِ عن قرعِ سائرِ الأجسامِ الأُخرِ من حَيَوانٍ أو غيرِهِ))[1].

ثمَّ أنشأ يفصّلُ القولَ في ما تشترِكُ بِهِ النّغمُ الإنسانيّةُ وغيرَها من أنغامِ الأجسامِ الأُخرِ، فمثلاً تحدّث في عن أسبابِ الحِدّةِ والثِّقَلِ فقال: ((وأسبابُ الحِدَّةِ والثِّقلِ في النّغمِ الإنسانيَّةِ هي بأعيانِها أسبابُ الحِدَّةِ والثّقلِ في النّغمِ المسموعةِ من المزاميرِ، فإنَّ الحُلوقَ كأنّها مزاميرُ طبيعيّةٌ، والمزاميرُ كأنَّها حلوقٌ صِناعيَّةٌ))[2].

وشبَّهَ حدوثَ النّغمةِ الإنسانيَّةِ بحدوثِ النّغمةِ في المزاميرِ، فقال: ((فإذا دفعَ الإنسانُ هواءَ التّنفّسِ إلى خارجٍ جملةً واحدةً وترفَّقَ لم يحدثْ صوتٌ محسوسٌ، وإذا حَصَرَ الإنسانُ هذا الهواءَ في رِئتيهِ وما حواليها من أسفلِ الحَلقِ، وسرَّبَ أجزاءَهُ إلى خارجٍ شيئاً فشيئاً على اتّصالٍ، وَزَحَمَ بهِ مُقعَّرَ الحَلْقِ وصَدَمَ أجزاءَهُ حَدَثَت حينئذٍ نغمٌ، بمنزلةِ ما تُحدِثُ بسلوكِ الهواءِ في المزاميرِ، فإذا ضيَّقَ مسْلَكَهُ كانتِ النّغمةُ أحدَّ، وإذا وسّعَ كانتِ النّغمةُ أثقلَ))[3].

(١) الموسيقى الكبير ١٠٦٤.

(٢) المصدر نفسُهُ ١٠٦٦.

(٣) المصدر نفسه.

ولم يؤيّد الأستاذ عبدالحميد زاهيد ما ذهب إليه الفارابيّ من أنَّ أسبابَ الحِدّةِ والثّقل في النغم الإنسانية هي نفسها اسبابُ الحِدَّةِ والثّقلِ في المزامير[١]، وقال: ((فالمسؤولُ عن الحِدَّةِ والثّقل في صوتِ الإنسانِ هي الحبالُ الصّوتيّةُ وعدد ذبذباتِها في الثانية الواحدة، والسّبب في عدم إدراكِ القدماءِ لمصدر الثّقل في النّغم الإنسانيَّةِ هو عدم معرفتهم بالحبلين الصوتيين ودورها في التّصويت))[٢].

وهذا النّقدُ لا يقلّلُ من قيمةِ الحقيقةِ العلميَّةِ التي أبغي الإشارةَ إليها وهي أنَّ الفارابيّ أقامَ دراسةَ الأصواتِ الإنسانيّةِ في جانبٍ منها على أساسِ تمثيلِها بما يمكنُ مشاهدتُهُ وملاحظتُهُ وهو المزاميرُ، وقد كشفَ مثلُ هذا التّمثيلِ عن جانبٍ مهمٍّ في منهجِ البحثِ الصّوتيّ عند العلماءِ العربِ، وهذا يعني أنَّ دراسةَ الأصواتِ قد خضعت عندهم للجانبِ التّجريبيّ الذي يتّضح من خلالِ قراءةِ نصوصِهم أنّهم قد باشروه بأنفسِهم، فلا يضُرُّ من قيمةِ هذه الحقيقةِ العلميَّةِ أنْ تختلفَ معهم نتائجُ الدّراسةِ الصّوتيَّةِ الحديثةِ في بعضِ جوانبِها بسبب التّطوّراتِ المعاصرةِ في دراسةِ الصّوتِ اللّغويّ.

ويُمعنُ الفارابيُّ في تمثيلِ أجزاءٍ من الحلقِ بما يُماثِلُهُ ويراهُ شبيهاً بِهِ من أجزاءِ الآلاتِ الأخرى التي يجدُ فيها شبهاً بين نَغَماتِها ونغماتِ الإنسانِ، فيقول: ((وأجزاءُ مُقَعَّرِ الحَلْقِ التي تقْرُبُ من القُوَّةِ الدّافِعةِ للهواءِ إلى خارِجٍ، تقومُ في الحَلْقِ مقامَ الدّساتينِ التي تبعُدُ من اليدِ القارِعةِ لأوتارِ العيدانِ والطّنابيرِ أو مقامَ ثُقبِ المزاميرِ التي تقرُبُ من فمِ النّافِخِ، وأجزاؤُهُ التي تبعُدُ عنها تقومُ مقامَ الدّساتين التي تقرُبُ من اليدِ القارِعةِ لأوتارِ العِيدانِ والطّنابيرِ أو مَقامَ ثُقَبِ المزاميرِ التي تبعُدُ عن فمِ الزّامِرِ، فإنَّ أجزاءَ الهواءِ

(١) ينظر: علم الأصوات وعلم الموسيقى ٦٢.

(٢) المصدر نفسه ٦٢ – ٦٣.

السّالكِ في أجوافِ المزاميرِ متى صَدَمت أمكِنةً هي أقربُ إلى فمِ النّافِخِ حَدَثت عنها نغمٌ أحدُّ، ومتى صَدَمتْ أمكنةً أبعدَ عن فمِ النّافِخِ حدثتْ عنها نغمٌ أثقلُ))[١] .

وحينَ لمْ تكنِ المعرفةُ العلميَّةُ تتيحُ – في زمنِ الفارابيّ – الوقوفَ عند بعضِ التّفصيلاتِ الخاصّةِ بدراسةِ النّغمِ الإنسانيَّةِ، ومن ذلك ما أسماه بتحديدِ الأماكِنِ التي يقرعُها الهواءُ الخارِجُ من الصّدرِ، ومعرفةِ المسافةِ بين هذه الأماكِنِ، لم يجدِ الفارابيُّ وسيلةً أفضلَ من مقايسةِ ذلك بما تُصدرُهُ بعضُ الآلاتِ، قال: ((وتحديدُ الأمكنةِ متى يقرَعُها الهواءُ المندفِعُ من الصّدْرِ ومعرفةُ ما بينَها من القُرْبِ والبُعدِ غيرُ ممكنٍ، وكذلك معرفةُ مقدارِ ما يتّسِعُ له الحَلْقُ أو يَضيقُ، ولذلك ليس يُمكنُ أنْ يوقفَ على مقاديرِ النّغمِ المسموعةِ منها، ما لم يُقايسْ بينها وبينَ النّغمِ المسموعةِ من بعضِ الآلاتِ التي يُجدُ فيها أمكنةُ النغمِ محدودةُ المقاديرِ))[٢].

وأكّدَ الفارابيُّ حقيقةَ الاشتراكِ بين النّغمِ الإنسانيَّةِ وغيرِها من النّغَمِ في الوجوهِ التي رآها تشتركُ بينهما، ولعلَّ ذلك كان تطبيقاً منه لفكرةِ التشابه بين الأجسامِ المولِّدةِ لها، قال: ((أمّا الأشياءُ التي بها تصيرُ الألحانُ ألَذَّ وآنَقَ مسموعاً، فمنها: أنْ تكونَ نَغَماً صافيةً، وتلك شَريطةٌ عامَّةٌ في جميعِ النّغَمِ، إنسانيَّةً كانت أو كانت مسموعةً من سائرِ الأجسامِ))[٣] .

(١) الموسيقى الكبير ١٠٦٧.

(٢) الموسيقى الكبير ١٠٦٨.

(٣) المصدر نفسه ١١٧٢.

خاتمةُ البحثِ ونتائجُهُ

أولاً – انطلقَ هذا البحثُ من فكرةِ أنَّ خطابَ التّأصيلِ لعلمٍ من العلومِ يقومُ على جملةٍ من الأركانِ ويظهرُ في صورٍ مختلفةٍ، ومنها – ولعلَّه من أهمِّها – النظرُ في منهجيَّةِ البحثِ العلميّ التي سادت طريقةَ الدّراسةِ والتّفكيرِ عندَ علماءِ هذا الفنِّ أو ذاك، ومن أجلِ ذلك رأينا – ونحنُ نبحثُ في تأصيلِ علم الصّوتِ العربيّ ونعمل على إثباتِ الجهد العربيّ الخالص في دراسةِ الأصواتِ اللغويَّةِ – أنَّ ننظرَ في منهجيَّةِ البحثِ العلميّ هذه التي استُنِدَ إليها في التراثِ العربيّ لدراسةِ الأصواتِ عامّةً ومنها الأصوات اللغويَّة.

ثانياً – وقد عُني الدّارسون المحدثون بالنظرِ في منهجِ البحثِ الصّوتيّ عند العربِ ونصّوا على عددٍ من خصائصِهِ التي منها: المنهجُ الوصفيّ وتبنّي الملاحظةِ الذّاتيَّةِ والتّذوّق الفعليّ للأصواتِ اللغويَّةِ فضلاً عن الاستنادِ إلى نظامِ العيّناتِ عند استقراءِ المادّةِ الخاضعةِ للتحليل والبحثِ، والذي أحسبُهُ هو أنَّ هذا السّردَ لسماتِ أو خصائص البحثِ الصّوتيّ عملٌ متميزٌ في التقويمِ العلميّ لجهد العلماءِ العربِ في دراسةِ الأصوات اللغويَّةِ.

ثالثاً – ولكنَّ الدّقةَ العلميّةَ والكشفَ الرئيس عن مثلِ هذا الجهد يكون – فيما أحسبُ – بالبحثِ في زاويةٍ أخرى من الموضوع وهي الإجابةُ عن سؤالٍ هو أكان العلماءُ العربُ مدركين لما يحتاجُهُ البحثُ الصّوتيُّ خاصّةً من أساليبَ بحثيَّةٍ؟ وهل صرّحوا في مؤلّفاتِهم بهذه الأساليبِ، مميّزينَ بذلك البحثَ الصّوتيّ عن غيرِهِ من الأبحاثِ اللغويَّةِ كالنّحويَّةِ والصّرفيّةِ والدّلاليّةِ ؟ بعد أنْ وجدنا أنَّ حديثَ الدارسينَ المعاصرينَ عن منهجِ البحثِ الصوتي عند العربِ كان استخلاصاً للنتائجِ واستنباطاً من النّصوصِ والآراءِ.

رابعاً –وقد ثَبَتَ في البحثِ هذا أنَّ العلماءَ العربَ قد أدركوا ما يحتاجُ إليه البحثُ الصّوتيُّ من أسسٍ منهجيّةٍ واساليبَ بحثيّةٍ، وقد صرّحوا بذلك، إذ أدركوا أساليبَ البَرهنةِ التي هي خاصّةٌ بالبحثِ الصوتيّ هذا، فنصّوا على: الاعتبار، والامتحانِ والاختبار، وصرّحوا بحاجةِ سلسلةٍ من الظواهر الصّوتيّة في إدراكِ حقيقتِها إلى المشافهةِ، وحاجةِ ظواهر أخرى إلى قُوَّةِ النظرِ والبحثِ، ورأوا أنَّ امتلاكَ مثلِ هذه الوسائلِ لا بدَّ أنْ يكونَ مستنداً إلى الطّبعِ المستقيمِ، وضرورةِ الأداءِ الصّوتيّ من غيرِ تكلُّفٍ.

خامساً – وإذا كان البحثُ الصّوتيّ المعاصرُ يستندُ – فيما يستندُ إليه – إلى التّجارِبِ المعمليَّةِ في إثباتِ نتائجِ دراساتِهِ فإنَّ غيابَ المعاملِ الصّوتيَّةِ عن تراثِنا لم تكنْ عائقاً أمام علماءِ العربيَّةِ وغيرِهم – ممّن باشروا دراسةَ الأصواتِ اللغويّةِ – من إقامةِ بعضِ التّجارِبِ العمليَّةِ من خلالِ أعضاءِ آلةِ النّطْقِ أو بعضِ الحواسّ التي تلامسُ العمليّةَ النطقيّةَ ملامسَةً مباشَرةً – للتحقُّقِ من وصفِ بعضِ الظواهرِ اللغويَّةِ وصفاً عمليّاً، فرأينا توظيفَ الحواسِّ عند علماءِ العربيّةِ في إدراكِ حقيقةِ بعضِ الظواهر اللغويَّةِ، كالسّمعِ، والرؤيةِ أو المشاهدة حين تتطلّبُ الظّواهرُ الصّوتيَّةُ إخضاعَ الرؤيةِ في البحثِ على نحوِ ما وجدنا في الإشمام.

بل برز في تراثِنا اللغويّ ما يشبِهُ التّجاربَ المعمليّةَ الحديثةَ، ولكنَّ ما وردَ عندَ القدماءِ كان يجري على أعضاءِ النّطقِ، وكانت نصوصُ سيبويهِ رائدةً في هذا البابِ، فرأينا – عنده – إثباتَ أنَّ مخرجَ القافِ يسبقُ مخرجَ الكافِ من خلال تجربةِ فتحِ الفكّينِ، ووجدنا عنده أيضاً تجربةَ سدِّ الأنفِ لإثباتِ مخرجِ الغُنَّةِ للميمِ والنونِ، وكيف أنّه كرّر هذه التجربةَ في الحديثِ عن صِفةِ النونِ والميم، وفي توجيهِ بعضِ الظواهرِ التركيبيةِ كتفضيلِ الإظهارِ على الإدغامِ فيما له صِلةٌ بالميمِ والتقائِهِ بالباءِ، بسبب غُنّةِ الميمِ التي تقرّبه من النونِ والتي يُستدلُّ على وجودِها بتجربة سدّ الأنفِ.

سادساً – وتأصّل – في نظرِنا – البحثُ الصّوتيُّ عند العربِ حين ظهرَ – من خلال أبحاثِهم ودراساتِهم – الالتفاتُ إلى أنَّ للأصواتِ اللغويَّةِ إنتاجاً وخصائصَ ما يُماثِلها من الأصواتِ غير اللغويّةِ، فظهر التصريحُ بأنَّ علم الأصوات والحروف له شبه بصنعة الموسيقى، على نحوِ ما صرّح ابن جنّي، وتتابعت نصوص العلماءِ في تشبيه الأصوات اللغويّةِ وإنتاجها بما يحصُلُ في الأصوات الأخرى غير اللغويّة الصادرةِ عن الآلات الموسيقيّةِ كالنّاي والعودِ، ثمّ جاءت نصوص الفارابيِّ الفيلسوفِ التي أضافتْ أفكاراً وصنعت تصوّراً ناضجاً عن إقامةِ المشابهةِ بينَ الأصواتِ اللغويَّةِ والأنغامِ الموسيقيّةِ، ومثلَ هذه المشابهةِ وإن كانت قد جاءتْ في معرِضِ التّحليلِ إلا أنَّها قد توظّفُ في بُعدٍ تعليميٍّ يبغي المساعدةَ في صُنعِ تصوّرٍ واضحٍ عندَ المتلقّي عن كيفيةِ تكوّن الصّوتِ اللغويّ وتنوّعِ سِماتِهِ ونَغَماتِهِ.

هذه أبرز ملامح منهج البحثِ الصّوتي التي استقريتُ مواضعها في تراثِنا اللغوي وغير اللغويّ، رأيت أنْ أجعلها مثالاً على أصالةِ البحثِ الصّوتي عند العرب، وأنَّ الجهدَ الذي بذله علماؤنا في دراسة الأصوات اللغويَّةِ والإنسانيّةِ لم يكن قائماً غلى اقتراضٍ علميٍّ من حضاراتٍ أخرى، ولمْ يكنْ ذلك تعصّباً بل كان بناءً على أنَّ المرحلةَ التي ظهرت فيها بواكيرُ هذا البحثِ وجانبٌ من نُضجِهِ لم تكن تسمح بالقولِ بوجود مثل هذا الاقتراضِ.

ثَبَتُ المصادر والمراجع

القران الكريم

١- أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد، ط(١) دار عمار – الأردن١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م.

٢- أبحاث في العربية الفصحى، للدكتور غانم قدوري الحمد، ط(١) دار عمار – الأردن ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٣- أبحاث في علم التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد، ط(١) دار عمار – الأردن ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م.

٤- إحصاء العلوم، لأبي نصرٍ الفارابي (ت ٣٣٩ هـ)، تحقيق: الدكتور عثمان أمين، مطبعة الاعتماد – مصر.

٥- أخبار النّحويين البصريين، لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ)، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبدالمنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

٦- ارتشافُ الضَّرَبِ من لسانِ العربِ، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: الدكتور رجب عثمان محمد، ط(١) مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م

٧- إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، للحكيم المتطبب محمد بن ساعد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني (ت ٧٤٩ هـ)، تحقيق وتعليق: عبدالمنعم محمد عمر، دار الفكر العربي – القاهرة١٩٩٠ م.

٨- أساسُ البلاغةِ، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة ٢٠٠٣م.

٩- الأسانيد في علمِ عدِّ الآيِ – عرضاً ودراسةً، إعداد: الفريق البحثي بكرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم وعلومه في الجامعة

الإسلامية في المدينة المنورة، ط(١) مكتبة دار الزمان – المدينة المنورة ١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م.

١٠- أسباب حدوث الحروف، لأبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا (ت ٤٢٨ هـ)، شرح وتحقيق: فرغلي سيد عرباوي، ط(١) دار الكتب العلمية – بيروت٢٠١١م.

١١- الاستدلال الصوتي في الدرس اللغوي العربي، رسالة ماجستير، للباحثة: ميسم سمير محمد، كلية التربية – جامعة ديالى ١٤٤١ هـ – ٢٠٢٠ م، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور محمد بشير حسن.

١٢- أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، للدكتور أحمد محمد قدور، ط(٢) دار الفكر – دمشق١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

١٣- الأصول في النحو ، لأبي بكر ابن السراج (ت ٣١٦ هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالحسين الفتلي.

١٤- إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط(٧) دار المعارف – القاهرة ٢٠١٠ م.

١٥- الأم، للإمام محمد بن إدريس الشافعيّ (ت ٢٠٤ هـ) (نسخة تطبيق: تراث).

١٦- الانتصار لسيبويه على المبرد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن ولاد (ت ٣٣٢ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور زهير عبدالمحسن سلطان، ط(١) مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

١٧- الإيضاح في شرح المفصل، لأبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ)، تحقيق وتقديم: الدكتور موسى بناي العليلي، مطبعة العاني – بغداد ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

١٨- الإيضاح في علل النحوِ، لأبي إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، ط(٣) دار النفائس – بيروت١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.
١٩- البارع في اللغة، لأبي عليّ إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦ هـ)، تحقيق: هاشم الطعان،ط(١) مكتبة النهضة – بغداد، ودار الحضارة العربية – بيروت١٩٧٥ م.
٢٠- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث – القاهرة.
٢١- البيان في عدِّ آيِ القرآن، للإمام أبي عمرٍو الدّاني (ت ٤٤٤ هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، ط(١) دار الغوثاني للدراسات القرآنية – دمشق ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨ م.
٢٢- تجويد النشر، للإمام محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور عمر إيشام نصرت التركماني، ط(١) دار ابن حزم – بيروت١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م.
٢٣- التحديد في الإتقانِ والتّجويدِ، لأبي عمرو الداني، دراسة وتحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، ط(١) مطبعة الخلود – بغداد١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م.
٢٤- تحقيق نصوص علوم القرآن الكريم – قضايا منهجية وموضوعية، للدكتور غانم قدوري الحمد
٢٥- ترتيب العلوم، للعلامة محمد المرعشي المعروف بساجقلي زاده (ت ١١٥٠ هـ)، تحقيق: نجلاء قاسم عباس، جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي – بغداد١٤٠٤ هـ – ١٩٩٠.

٢٦- تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتّى الزمخشريّ، للدكتور يحيى عبابنة، ط(١) جدارا للكتاب العالمي – عمان، وعالم الكتب الحديث – إربد ٢٠٠٦ م.
٢٧- التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر، ترجمة: الدكتور رمضان عبدالتواب، ط(٢) مكتبة الخانجي – القاهرة١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.
٢٨- التعليقة على كتاب سيبويه، لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، تحقيق: الدكتور عوض محمد القوزي، ط(١) مطبعة الأمانة – القاهرة ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.
٢٩- التفكير الصوتي عند علماء العربية في العراق، للدكتور صبيح التميمي، ط(١) دار الشؤون الثقافية – بغداد٢٠١٣م.
٣٠- التمهيد في معرفة التجويد، لأبي العلاء العطار (ت ٥٦٩ هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، ط (١) دار عمار – الأردن١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٣١- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) (نسخة تطبيق: تراث)
٣٢- جامع البيان (تفسير الطبري)، للإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، (نسخة تطبيق: تراث)
٣٣- الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، المكتبة التوفيقية – القاهرة.
٣٤- الجامع المفيد في صناعة التجويد، لأبي الفتح جعفر بن إبراهيم السنهوري (ت ٨٩٤ هـ) تحقيق وتقديم: الدكتور مولاي محمد الإدريسي الطاهري، ط(١) دار ابن حزم – بيروت ١٤٣٠هـ – ٢٠١٠.

٣٥- جمهرة اللغة، لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت ٣٢١ هـ)، دار صادر – بيروت.
٣٦- جهد المقلّ، لأبي بكر المرعشي (ساجقلي زاده)، دراسة وتحقيق: الدكتور سالم قدوري الحمد، ط(٢) دار عمار – الأردن١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م.
٣٧- حسن المدد في معرفةِ فنِّ العدد، للإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢ هـ)، دراسة وتحقيق: بشير بن حسن الحميري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٣١هـ.
٣٨- حواشي كتاب سيبويه، لمجموعة من العلماء، تحقيق: سليمان بن عبدالعزيز العيوني، ط(١) دار طيبة الخضراء – الرياض١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م.
٣٩- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالحميد هنداوي، ط(٢) دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
٤٠- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد، ط(١) مطبعة الخلود – بغداد
٤١- الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، للدكتور حسام البهنساوي، ط(١) زهراء الشرق – القاهرة٢٠٠٥ م.
٤٢- الدراسات الصوتية عند علماء العربية، عبدالحميد الهادي قدوع، دار أويا – ليبيا ٢٠١٥ م.
٤٣- دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ط(٤) عالم الكتب – القاهرة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٤٤- دروس في علم أصوات العربية، لجان كانتينو، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية – تونس ١٩٦٦ م.

٤٥- دستور العلماء (أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون) للقاضي عبدالنبي بن عبدالرسول الأحمد النكري، عرّبه: حسن هاني فحص، ط(١) دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٤٦- رسائل الجاحظ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، ط(١) مكتبة الخانجي – القاهرة١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.

٤٧- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، للإمام مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد حسن فرحات، ط(١) دار ابن كثير – دمشق ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨ م.

٤٨- سرَّ صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط(٢) دار الكتب العلمية – بيروت١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٤٩- شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبدالحميد، نسخة مصورة عن: دار الكتب العلمية في بيروت – انتشارات مرتضوي – إيران.

٥٠- شرح صحيح البخاريّ، لابن بطّال، للعلامة أبي الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال (ت ٤٤٩ هـ)، (نسخة تطبيق تراث).

٥١- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي (ت ٣٦٨ هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، و علي سيد علي، ط(١) دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٥٢- شرح كتاب سيبويه، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ)، دراسة و تحقيق: الدكتور شريف عبدالكريم النجار، ط(١) دار عمار – الأردن، ودار السلام – القاهرة ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١ م.
٥٣- شرح ملحة الإعراب، لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (ت ٥١٦ هـ)، (نسخة تطبيق تراث)
٥٤- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، حققه وقدم له: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر – بيروت ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م.
٥٥- صحيحُ ابن خزيمةَ ، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١ هـ) (نسخة تطبيق تراث).
٥٦- الصوت اللغوي في القرآن، للدكتور محمد حسين علي الصغير، ط(١) دار المؤرخ العربي – بيروت ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.
٥٧- الصوتيات اللغوية – دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، للدكتور عبدالغفار حامد هلال، دار الكتاب الحديث – القاهرة١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
٥٨- علم الأصوات، للدكتور كمال بشر، دار غريب – القاهرة ٢٠٠٠م.
٥٩- علم الأصوات وعلم الموسيقى، لعبدالحميد زاهيد، ط(١) دار يافا – الأردن٢٠١٠م.
٦٠- علم الصوت العربي، للدكتور قاسم البريسم، إفريقيا الشرق – المغرب ٢٠١٨م.
٦١- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للعلامة أحمد بن يوسف بن عبدالدائم الحلبي المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)، تحقيق:

عبدالسلام أحمد التونجي الحلبي، ط(١) مكتب الإعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية – ليبيا ١٩٩٥م.

٦٢- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، ط(١) مؤسسة الأعلمي – بيروت١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٦٣- غريب الحديث، لابن قتيبةَ (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالله الجبوري، ط(١) ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧م.

٦٤- غنية المريد لمعرفة الإتقان والتجويد، لابن مفلح القلقيلي (ت بعد ٩٠٢ هـ)، تحقيق: الدكتور خلف حسين صالح الجبوري، ط(١) دار ابن حزم – بيروت١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥م.

٦٥- الفائق في غريب الحديث، للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين ، ط(١) دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٦٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، عُني به: محمود بن الجميل، ط(١) مكتبة الصفا – القاهرة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٦٧- الفرائد الحسان في عدِّ آيِ القرآنِ ومعه نفائس البيان، للشيخ عبدالفتاح القاضي (ت ١٤٠٣ هـ)، ط(١) مكتبة الدار / المدينة المنورة ١٤٠٤ هـ.

٦٨- فقه اللغة في الكتب العربية، للدكتور عبده الراجحي، دار المعرفة – الإسكندرية١٩٩٣ م.

٦٩- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بالنديم (ت ٣٨٠ هـ)، ضبطه وشرحه الدكتور يوسف علي طويل، ط(٢) دار الكتب العلمية – بيروت١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٧٠- في البحث الصوتي عند العرب، للدكتور خليل إبراهيم العطية، دار الجاحظ – بغداد ١٩٨٣ م.
٧١- القاموس المحيط، لمجد الدين نحند بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، دار الفكر – بيروت.
٧٢- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، ط(٣) مكتبة الخانجي – القاهرة١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
٧٣- الكتاب الأوسط في علم القراءات، للإمام الحسن بن عليّ العماني، تحقيق: الدكتور هزة حسن، ط(١) دار الفكر – دمشق١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م.
٧٤- كتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه، للإمام محمد بن خلف المعروف بوكيع (ت ٣٠٦ هـ)، حققه وعلق عليه: الدكتور عبدالرزاق بن محمد البكري، ط(١) دار طيبة الخضراء – مكة المكرمة١٤٤١هـ – ٢٠٢٠ م.
٧٥- كتاب فيه مقادير المدِّ، لأبي الحسن علي بن جعفر السعيدي (ت في حدود ٤١٠ هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور خلف حسين صالح الجبوري، ط(١) دار الغوثاني للدراسات القرآنية – دمشق١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.
٧٦- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعلامة مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٧٧- لسان الميزان، للإمام ابن حجر العسقلاني، (نسخة تطبيق تراث).
٧٨- محاضرات في اللسانيات، للدكتور فوزي الشايب، ط(٢) عالم الكتب الحديث – إربد / الأردن ٢٠١٦ م.

٧٩- المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالحميد هنداوي، ط(١) دار الكتب العلمية – بيروت١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٨٠- المدارس الصوتية عند العرب – النشأة والتطور، للدكتور علاء جبر محمد، ط(١) دار الكتب العلمية – بيروت١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م.

٨١- مدخل إلى فقه اللغة العربية، للدكتور أحمد محمد قدور، ط(٥) دار الفكر – دمشق١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.

٨٢- مرشد القارئ إلى تحقيقِ معالمِ المقارئِ، لابن الطحان السماتي (ت ٥٦١ هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم الضامن، ط(١) مؤسسة الرسالة– بيروت و دار البشير – الأردن١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.

٨٣- المستوفي في النّحوِ، لكمال الدين أبي سعد علي بن مسعود بن محمود بن الحكم الفرخان، تحقيق: الدكتور محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية – القاهرة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

٨٤- المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب – دراسة تأريخية تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري، للدكتور عادل إبراهيم أبو شعر، ط(١) مركز تفسير للدراسات القرآنية – الرياض١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.

٨٥- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، دار السرور.

٨٦- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١ هـ)، شرح وتحقيق: الدكتور عبدالجليل عبده شلبي، دار الحديث – القاهرة١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

٨٧- معجم ألفاظ القرآن الكريم، أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة، ط(٢) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠م.

٨٨- المعجم الوسيط، أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة، ط(٣) ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٨٩- مفاتيح العلوم، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت ٣٨٧ هـ)،(نسخة تطبيق: تراث).
٩٠- مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط(٥) دار القلم – دمشق١٤٣٣هـ - ٢٠١١م.
٩١- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، للعلامة أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨ هـ)، (نسخة تطبيق: تراث)
٩٢- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) . تحقيق: مجموعة من المحققين، ط(١) معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي – جامعة أم القرى / مكة المكرمة١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
٩٣- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، نسخة مصورة عن دار الكتب العلمية – إسماعيليان نجفي – قم / إيران
٩٤- منهج الدرس الصوتي عند العرب، للدكتور علي خليف حسين، ط(١) دار الكتب العلمية – بيروت٢٠١١ م.
٩٥- الموسيقى الكبير، لأبي نصر الفارابي، تحقيق وشرح، غطاس عبدالملك خشبة، دار الكتاب العربي – القاهرة.
٩٦- الميسّر في علم عدِّ آيِ القرآن، للدكتور أحمد خالد شكري، ط(٢) مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي – جدة١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م.

٩٧- نتائج الفِكَرِ، لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (ت٥٨١هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوّض، ط(١) دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٩٨- النكت في تفسير كتاب سيبويه، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ)، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، ط(١) معهد المخطوطات العربية – الكويت١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٩٩- النهاية في غريب الحديث والأثرِ، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر

١٠٠-الوسيلةُ الأدبيَّة إلى العلوم العربية، للعلامة حسين بن أحمد المرصفي (ت ١٣٠٧ هـ)

١٠١-الوقف في المدونة النحوية – تمرين على قراءةٍ في متنٍ قديمٍ، للدكتور جواد كاظم عناد، ط (١) دار تموز ديموزي - دمشق٢٠١٩ م.

thabat almasadir walmarajie

alquran alkarim

1- abihath jadidat fi eilm al'aswat waltajwid , lilduktur ghanim qaduwri alhamd , ta(1) dar eamaar - al'urduni 1432 hi - 2011m.

2- abihath fi alearabiat alfushaa , lilduktur ghanim qaduwri alhamd , ta(1) dar eamaar - al'urduni 1426 hi - 2005 m.

3- abihath fi eilm altajwid , lilduktur ghanim qaduwri alhamd , ta(1) dar eamaar - al'urduni 1422 hi - 2002m.

4- 'iihsa' aleulum , li'abi nsr alfarabi (t 339 hi) , tahqiq: alduktur euthman 'amin , matbaeat alaietimad - misr.

5- 'akhbar alnnhwyyn albasariiyn , li'abi saeid alsiyrafii (t 368 hi) , tahqiq: tah muhamad alzayni wamuhamad eabdalmuneim khafajii , matbaeat mustafaa albabi alhalabii - misr.

6- artshaf alddarab min lsan alerb , li'abi hayaan al'andalusi (t 745 hi) , tahqiq washarh wadirasat: alduktur rajab euthman muhamad , ta(1) maktabat alkhanji - alqahirat 1418 hi - 1998m

7- 'iirshad alqasid 'iilaa 'asnaa almaqasid fi 'anwae aleulum , lilhakim almutatabib muhamad bin saeid al'ansarii almaeruf biaibn al'akfanii (t 749 hi) , tahqiq wataeliq: eabdalmuneim muhamad eumar , dar alfikr alearabii - alqahirat 1990 m.

8- asas alblaght , lijar allah 'abi alqasim mahmud bin eumar alzumakhshiri (t 538 hi) , alhayyat aleamat liqusur althaqafat - alqahirat 2003m.

9- al'asanid fi elm edd alay - erdaan wdrastan , 'iiedad: alfariq albahthii bikursii almalik eabdallah bin eabdialeaziz lilquran alkarim waeulumih fi aljamieat al'iislamiat fi almadinat almunawarat , ta(1) maktabat dar alzaman - almadinat almunawarat 1438 hi - 2017 m.

10- 'asbab huduth alhuruf , li'abi eali alhusayn bin eabdallah bin sina (t 428 hi) , sharh watahqiq: farghuli sayid earabawi , ta(1) dar alkutub aleilmiat - bayrut 2011m.

11- aliastidlal alsawtiu fi aldars allughawii alearabii , risalat majistir , lilbahithat: misam samir muhamad , kuliyat

altarbiat - jamieat dialaa 1441 hi - 2020 m , bi'iishraf al'ustadh almusaeid alduktur muhamad bashir hasan.

12- 'asalat eilm al'aswat eind alkhalil min khilal muqadimat kitab aleayn , lilduktur 'ahmad muhamad qaduwr , ta(2) dar alfikr - dimashq 1424 hi - 2003 m.

13- al'usul fi alnahw , li'abi bakr abn alsaraaj (t 316 hi) , tahqiq: alduktur eabdalhusayn alfatli.

14- 'iiejaz alquran , li'abi bakr albaqlanii (t 403 hi) , tahqiq: alsayid 'ahmad saqr , ta(7) dar almaearif - alqahirat 2010 m.

15- al'umu , lil'iimam muhamad bin 'iidris alshafey (t 204 hi) (nuskhat tatbiq: turath).

16- alantisar lisibwih ealaa almabrad , li'abi aleabaas 'ahmad bin muhamad bin wilad (t 332 hi) , dirasat watahqiq: alduktur zuhayr eabdalmuhsin sultan , ta(1) muasasat alrisalat - bayrut 1416 hu - 1996 m.

17- al'iidah fi sharh almufasal , li'abi eamrw euthman bin eumar almaeruf biaibn alhajib (t 646 hi) , tahqiq wataqdim: alduktur musaa binay alealilii , matbaeat aleani - baghdad 1402 hi - 1982 m.

18- al'iidah fi eilal alnhw , li'abi 'iishaq alzujajii (t 337 hi) , tahqiq: alduktur mazin almubarak , ta(3) dar alnafayis - bayrut 1399 hi - 1979 m.

19- albarie fi allughat , li'abi ely 'iismaeil bin alqasim alqali albaghdadii (t 356 hi) , tahqiq: hashim altaeaan ,ta(1) maktabat alnahdat - baghdad , wadar alhadarat alearabiat - bayrut 1975 m.

20- alburhan fi eulum alquran , lil'iimam bidiraldayn muhamad bin eabdallah alzarkashii (t 794 hi) , tahqiq: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim , maktabat dar alturath - alqahira.

21- albian fi edd ay alquran , lil'iimam 'abi emrinw alddany (t 444 hi) , tahqiq: alduktur ghanim qaduwri alhamd , ta(1) dar alghuthani lildirasat alquraniat - dimashq 1439 hi - 2018 m.

22- tajwid alnashr , lil'iimam muhamad bin muhamad bin muhamad almaeruf biaibn aljazarii (t 833 hu) , dirasat

watahqiq: alduktur eumar 'iisham nasrt alturkumani , ta(1) dar aibn hazm - bayrut 1443 hi - 2022m.
23- altahdid fi al'itqan walttjwyd , li'abi eamrw aldaanii , dirasat watahqiq: alduktur ghanim qaduwri alhamd , ta(1) matbaeat alkhulud - baghdad 1407 hi - 1987 m.
24- tahqiq nusus eulum alquran alkarim - qadaya manhajiat wamawdueiat , lilduktur ghanim qaduwri alhamd
25- tartib aleulum , lilealamat muhamad almareashii almaeruf bisajqali zadah (t 1150 hi) , tahqiq: najla' qasim eabaas , jamieat baghdad / markaz 'iihya' alturath aleilmii alearabii - baghdad 1404 hi - 1990.
26- tatawur almustalah alnahwi albasarii min sibwih htta alzmkhshry , lilduktur yahyaa eababnat , ta(1) jidaran lilkitab alealamii - eamaan , waealam alkutub alhadith - 'iirbid 2006 m.
27- altatawur alnahwiu lilughat alearabiat , birajshtirasar , tarjamat: alduktur ramadan eabdaltuwaab , ta(2) maktabat alkhanji - alqahirat 1414 hi - 1994 m.
28- altaeliqat ealaa kitab sibwih , li'abi eali alfarisi (t 377 hi) , tahqiq: alduktur eawad muhamad alqawzi , ta(1) matbaeat al'amanat - alqahirat 1410 hi - 1990m.
29- altafkir alsawtiu eind eulama' alearabiat fi aleiraq , lilduktur sabih altamimi , ta(1) dar alshuwuwn althaqafiat - baghdad 2013m.
30- altamhid fi maerifat altajwid , li'abi aleala' aleataar (t 569 hi) , tahqiq: alduktur ghanim qaduwri alhamd , t (1) dar eamaar - al'urduni 1420 hi - 2000 m.
31- tahdhib allughat , li'abi mansur muhamad bin 'ahmad al'azharii (t 370 hi) (nuskhat tatbiq: turath)
32- jamie albayan (tafsir altabarii) , lil'iimam muhamad bin jarir altabarii (t 310 hi) , (nuskhat tatbiq: turath)
33- aljamie alsahih (sahih albukharii) , lil'iimam 'abi eabdallah muhamad bin 'iismaeil albukharii (t 256 hi) , almaktabat altawfiqiat - alqahira.
34- aljamie almufid fi sinaeat altajwid , li'abi alfath jaefar bin 'iibrahim alsanhurii (t 894 ha) tahqiq wataqdim: alduktur

mawlay muhamad al'iidrisii altaahirii , ta(1) dar aibn hazm - bayrut 1430h - 2010.

35- jamharat allughat , liabn durayd 'abi bakr muhamad bn alhasan al'azdii albasrii (t 321 hi) , dar sadir - bayrut. 36- juhd almql , li'abi bakr almareashii (sajqali zadah) , dirasat watahqiq: alduktur salim qaduwri alhamd , ta(2) dar eamaar - al'urduni 1429 hi – 2008

36- juhad almql , li'abi bakr almareashii (sajqali zadah) , dirasat watahqiq: alduktur salim qaduwri alhamd , ta(2) dar eamaar - al'urduni 1429 hi - 2008 mi.

37- hasan almudd fi merft fnn aleadad , lil'iimam burhan aldiyn 'iibrahim bin eumar aljaebari (t 732 ha) , dirasat watahqiq: bashir bin hasan alhimyari , majmae almalik fahd litibaeat almushaf alsharif 1431 ha.

38- hawashi kitab sibwih , limajmueat min aleulama' , tahqiq: sulayman bn eabdialeaziz aleayunii , ta(1) dar tiibat alkhadra' - alriyad 1442 hi - 2021m.

39- alkhasayis , li'abi alfath euthman bin jini (t 392 hi) , tahqiq: alduktur eabdalhamid hindawi , ta(2) dar alkutub aleilmiat - bayrut 1424 hu - 2003 m.

40- aldirasat alsawtiat eind eulama' altajwid , lilduktur ghanim qaduwri alhamd , ta(1) matbaeat alkhulud - baghdad

41- aldirasat alsawtiat eind aleulama' alearab waldars alsawtii alhadith , lilduktur husam albahansawii , ta(1) zahra' alsharq - alqahirat 2005 m.

42- aldirasat alsawtiat eind eulama' alearabiat , eabdalhamid alhadi qaduwe , dar 'uwya - libia 2015 m.

43- dirasat alsawt allughawii , lilduktur 'ahmad mukhtar eumar , ta(4) ealim alkutub - alqahirat 1427 hi - 2006 m.

44- drus fi eilm 'aswat alearabiat , lijan kantinu , naqalah 'iilaa alearabiat: salih alqirmadi , markaz aldirasat walbuhuth alaiqtisadiat waliaijtimaeiat - tunis 1966 m.

45- distur aleulama' ('aw jamie aleulum fi astilahat alfunun) lilqadi eabdalnabii bin eabdialrasul al'ahmad alnikrii , errbh: hasan hani fahs , ta(1) dar alkutub aleilmiat - bayrut 1421 hi - 2000m.

46- rasayil aljahiz , li'abi euthman eamru bin bahr aljahiz (t 255 hi) , tahqiq washarh: eabdalsalam harun , ta(1) maktabat alkhaniji - alqahirat 1399 hi - 1979 mi.
47- alrieayat litajwid alqira'at watahqiq lafz altilawat , lil'iimam makiy bin 'abi talib alqaysii (t 437 hi) , tahqiq: alduktur 'ahmad hasan farahat , ta(1) dar aibn kathir - dimashq 1439 hi - 2018 m.
48- srr sinaeat al'iierab , liabn jani , tahqiq: muhamad hasan muhamad hasan 'iismaeil , ta(2) dar alkutub aleilmiat - bayrut 1428 hi - 2007 m.
49- sharh shafiat aibn alhajib , liradi aldiyn aliastirabadhia (t 686 hi) , tahqiq: muhamad nur alhasan wamuhamad alzafzaf wamuhamad muhyi aldiyn eabdalhamayd , nuskhat musawarat ean: dar alkutub aleilmiat fi bayrut - aintisharat murtadawi - 'iiran.
50- sharh sahih albkhary , liabn bttal , lilealamat 'abi alhasan eali bin khalaf bin eabdalmalik bin bataal (t 449 hi) , (nuskhat tatbiq turath).
51- sharh kitab sibwih , li'abi saeid alhasan bin eabdallah bin almarziban alsiyrafii (t 368 hi) , tahqiq: 'ahmad hasan mahdali , w eali sayid eali , ta(1) dar alkutub aleilmiat - bayrut 1429 hu - 2008 m.
52- sharh kitab sibwih , li'abi alhasan eali bin eisaa alrumani (t 384 ha) , dirasat w tahqiq: alduktur sharif eabdalkarim alnajaar , ta(1) dar eamaar - al'urduni , wadar alsalam - alqahirat 1442h - 2021 m.
53- sharh malihat al'iierab , li'abi muhamad alqasim bin ealii bin muhamad bin euthman alhariri (t 516 hi) , (nuskhat tatbiq turath)
54- alsaahibiu fi fiqh allughat wasunan alearab fi kalamiha , li'abi alhusayn 'ahmad bin faris (t 395 hi) , haqaqah waqadam lah: mustafaa alshuwaymi , muasasat 'a. badran liltibaeat walnashr - bayrut 1382 hu - 1963 m.
55- shyh abn khzymt , lil'iimam 'abi bakr muhamad bin 'iishaq bin khuzayma (t 311 hi) (nuskhat tatbiq turath).

56- alsawt allughawiu fi alquran , lilduktur muhamad husayn ealii alsaghir , ta(1) dar almuarikh alearabii - bayrut 1420 hi - 2000m.
57- alsawtiaat allughawiat - dirasat tatbiqiat ealaa 'aswat allughat alearabiat , lilduktur eibdalghafar hamid hilal , dar alkitaab alhadith - alqahirat 1430 hi - 2009m.
58- ealam al'aswat , lilduktur kamal bashar , dar gharib - alqahirat 2000m.
59- eilam al'aswat waeilm almusiqaa , lieabdalhamid zahid , ta(1) dar yafa - al'urduni 2010m.
60- ealam alsawt alearabii , lilduktur qasim albirisim , 'iifriqia alsharq - almaghrib 2018m.
61- eumdat alhifaz fi tafsir 'ashraf al'alfaz , lilealamat 'ahmad bin yusif bin eabdaldaayim alhalabii almaeruf bialsamayn alhalabii (t 756 hi) , tahqiq: eabdalsalam 'ahmad altuwnji alhalabi , ta(1) maktab al'iielam walbuhuth walnashr bijameiat aldaewat al'iislamiat alealamiat - libia 1995m.
62- aleayn , lilkhalil bin 'ahmad alfarahidi (t 175 hi) , tahqiq: alduktur mahdi almakhzumi walduktur 'iibrahim alsaamaraayiy , ta(1) muasasat al'aelami - bayrut 1408 hu - 1988m.
63- gharib alhadith , liabn qtyb (t 276 hi) , tahqiq: alduktur eabdallah aljaburi , ta(1) 1397 hi - 1977m.
64- ghaniat almurid limaerifat al'iitqan waltajwid , liabn muflih alqilqilii (t baed 902 hi) , tahqiq: alduktur khalaf husayn salih aljaburi , ta(1) dar aibn hazm - bayrut 1436 hi - 2015m.
65- alfayiq fi gharayb alhadith , lilealamat jar allah mahmud bn eumar alzumakhshiri (t 538 ha) , wade hawashih: 'iibrahim shams aldiyn , ta(1) dar alkutub aleilmiat - bayrut 1417 hi - 1997 mi.
66- fath albari sharh sahih albukharii , lil'iimam 'ahmad bin ealii bin hajar aleasqalanii (t 852 hi) , euny bih: mahmud bn aljumayil , ta(1) maktabat alsafa - alqahirat 1424 hi - 2003m.

67- alfarayid alhasaan fi edd ay alqran wamaeah nafayis albayan , lilshaykh eabdalfataah alqadi (t 1403 hi) , ta(1) maktabat aldaar / almadinat almunawarat 1404 hu.
68- fiqah allughat fi alkutub alearabiat , lilduktur eabduh alraajihii , dar almaerifat - al'iiskandariat 1993 m.
69- alfihrist , li'abi alfaraj muhamad bin 'abi yaequb almaeruf bialnadim (t 380 hi) , dabtih washarhuh alduktur yusif eali tawil , ta(2) dar alkutub aleilmiat - bayrut 1422h - 2002m.
70- fi albahth alsawtiu eind alearab , lilduktur khalil 'iibrahim aleatiat , dar aljahiz - baghdad 1983 m.
71- alqamus almuhit , limajd aldiyn nahnad bin yaequb alfayruzabadi (t 817 ha) , dar alfikr - bayrut.
72- alkitab , li'abi bashar eamriw bin euthman bin qanbar almaeruf bisibwyh (t 180 hi) , tahqiq washarh: eabdalsalam muhamad harun , ta(3) maktabat alkhaniji - alqahirat 1408 hi - 1988m.
73- alkutaab al'awsat fi eilm alqira'at , lil'iimam alhasan bin ely aleumanii , tahqiq: alduktur hizat hasan , ta(1) dar alfikr - dimashq 1427 hi - 2006 m.
74- ktab eadad ay alquran waliakhtilaf fih , lil'iimam muhamad bin khalaf almaeruf biwakie (t 306 hi) , haqaqah waealaq ealayh: alduktur eabdalrazaaq bin muhamad albakri, ta(1) dar tiibat alkhadra' - makat almukaramat 1441h - 2020 m.
75- ktab fih maqadir almdd , li'abi alhasan ealii bin jaefar alsaeidii (t fi hudud 410 hu) , tahqiq wadirasat: alduktur khalaf husayn salih aljaburi , ta(1) dar alghuthani lildirasat alquraniat - dimashq 1439 hi - 2018m.
76- kashf alzunun ean 'asamay alkutub walfunun , lilealamat mustafaa bin eabdallah alshahir bihaji khalifat , dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.
77- lisan almizan , lil'iimam abn hajar aleasqalanii , (nuskhat tatbiq turath).
78- muhadarat fi allisaniaat , lilduktur fawzi alshaayib , ta(2) ealim alkutub alhadith - 'iirbid / al'urduni 2016 m.

79- almukhasas , li'abi alhasan ealii bin 'iismaeil bin sayidih al'andalusii (t 458 hi) , tahqiq: alduktur eabdalhamid hindawi , ta(1) dar alkutub aleilmiat - bayrut 1426 hu - 2005 m.
80- almadaris alsawtiat eind alearab - alnash'at waltatawur , lilduktur eala' jabr muhamad , ta(1) dar alkutub aleilmiat - bayrut 1427 hi - 2006 m.
81- madkhal 'iilaa fiqh allughat alearabiat , lilduktur 'ahmad muhamad qaduwr , ta(5) dar alfikr - dimashq 1436 hi - 2015 m.
82- mirshid alqari 'iilaa thqyq mealm almqary , liaibn altahaan alsamatii (t 561 hi) , tahqiq: alduktur hatim aldaamin , ta(1) muasasat alrisalat - bayrut w dar albashir - al'urduni 1419 hi - 1999m.
83- almustawfi fi alnnhw , likamal aldiyn 'abi saed ealiin bin maseud bin mahmud bin alhakam alfirkhan , tahqiq: alduktur muhamad badawi almakhtun , dar althaqafat alearabiat - alqahirat 1407 hi - 1987m.
84- almustalahat alsawtiat fi alturath allughawii eind alearab - dirasat tarikhiat tasiliat min alqarn al'awal 'iilaa alqarn alsaadis alhijrii , lilduktur eadil 'iibrahim 'abu shaer , ta(1) markaz tafsir lildirasat alquraniat - alriyad 1436 hi - 2015 m.
85- meani alquran , li'abi zakaria yahyaa bin ziad alfara' (t 207 hi) , tahqiq: 'ahmad yusif najati w muhamad eali alnajaar , dar alsurur.
86- maeani alquran wa'iierabih , li'abi 'iishaq 'iibrahim bin alsiriyi alzujaj (t 311 hi) , sharh watahqiq: alduktur eabdaljalil eabdih shalabi , dar alhadith - alqahirat 1424 hi - 2004 m.
87- muejam 'alfaz alquran alkarim , 'asdarah majmae allughat alearabiat fi alqahirat , ta(2) alhayyat almisriat aleamat liltaalif walnashr , 1390 hi - 1970 m.
88- almuejam alwasit , 'asdar majmae allughat alearabiat fi alqahirat , ta(3) 1426 hi - 2005m.

89- mafatih aleulum , li'abi eabdallah muhamad bin 'ahmad bin yusif alkhawarizmi (t 387 hi) ,(nuskhat tatbiq: turath).
90- mufradat 'alfaz alquran , lilealamat alraaghib al'asfuhanii , tahqiq: safwan eadnan dawudi , ta(5) dar alqalam - dimashq 1433 hi - 2011m.
91- miftah alsaeadat wamisbah alsiyadat fi mawdueat aleulum , lilealamat 'ahmad bin mustafaa alshahir bataash kubraa zadah (t 968 hi) , (nuskhat tatbiq: turath).
92- almaqasid alshaafiat fi sharh alkhulasat alkafiat , li'abi 'iishaq 'iibrahim bin musaa alshaatibi (t 790 hi) tahqiq: majmueat min almuhaqiqin , ta(1) maehad albuhuth aleilmiat wa'iihya' alturath al'iislamii - jamieat 'ami alquraa / makat almukaramat 1428 hi - 2007m.
93- maqayis allughat , liabn faris , tahqiq wadabt: eabdalsalam muhamad harun , nuskhat musawarat ean dar alkutub aleilmiat - 'iismaeilyan najfi - qim / 'iiran.
94- manhaj aldars alsawtii eind alearab , lilduktur eali khalif husayn , ta(1) dar alkutub aleilmiat - bayrut 2011 m.
95- almusiqaa alkabir , li'abi nasr alfarabi , tahqiq washarh , ghataas eabdalmalik khashibat , dar alkitaab alearabii - alqahira.
96- almyssr fi eilam edd ay alquran , lilduktur 'ahmad khalid shukri , ta(2) markaz aldirasat walmaelumat alquraniat bimaehad al'iimam alshaatibii - jidat 1437 hi - 2016m.
97- natayij alfikar , li'abi alqasim eabdalrahman bin eabdallah alsuhayli (t 581 hi) , tahqiq: alshaykh eadil 'ahmad eabdalmawjud walshaykh eali muhamad mewwd , ta(1) dar alkutub aleilmiat - bayrut 1412h - 1992m.
98- alnikt fi tafsir kitab sibwih , li'abi alhajaaj yusif bin sulayman bin eisaa almaeruf bial'aelam alshintamri (t 476 hi) , tahqiq: zuhayr eabdalmuhsin sultan , ta(1) maehad almakhtutat alearabiat - alkuayt 1407 hi - 1987m.
99- alnihayat fi gharayb alhadith walathr , lil'iimam majd aldiyn almubarak bin muhamad aljazarii almaeruf biaibn al'athir (t 606 hi) , tahqiq: alduktur 'ahmad muhamad

alkharaat , matbueat wizarat al'awqaf walshuwuwn al'iislamiat – Qatar.

100- alwsylt aladbyat 'iilaa aleulum alearabiat , lilealamat husayn bin 'ahmad almursafi (t 1307 ha).

101- alwaqf fi almudawanat alnahwiat - tamrin ealaa qra't fi mtn qdym , lilduktur jawad kazim eanad , t (1) dar tamuwz dimuzi - dimashq 2019 m.